



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المعنى وتعدد التوجيه النحوي في تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي

رسالة تقدم بها الطالب

حازم موحان مزهر الجياشي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة المثنى ، وهي جزء
من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة

بإشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد حسين عبد السادة

٢٠٢١م

١٤٤١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ

فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ

الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُؤْتَوْنَ الْأَلْبَابَ ﴿١٨﴾﴾

صدق الله العلي العظيم

[الزمر: ١٧-١٨]

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة: ب (المعنى وتعدد التوجيه النحوي في تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي) التي تقدم بها الطالب (حازم موحان مزهر) جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة المثنى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في فلسفة اللغة العربية وآدابها / اللغة .

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د . أحمد حسين عبد السادة

التاريخ: ٢٠٢١/ ٣ /

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

رئيس قسم اللغة العربية:

الامضاء:

الاسم: أ. م. د. أحمد حسين عبد السادة

التاريخ ٢٠٢١/ ٣/

الإهداء

إلى السيد العابد...

إلى الصالح الزاهد....

إلى من غيبتَه ذنوبٌ محبيه...

غائب الأبصار حاضر القلوب...

سيدي مظلوم الزمان...

بقية آل موسى وعمران...

يوسف آل محمد الحجة بن الحسن - صَلَّى الله عليه وعلى آباءه

الكرام - أهدي هذا الجهد المتواضع لعله يمنُّ علينا بنظرة منه.

الباحث

شكر

شكر وامنتان إلى:

١- شيخي وأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور أحمد حسين عبد السادة الذي لم يبخل علي بجهدته ونصيحته أدامه الله لنا ذخراً.

٢- أساتذتي في جامعة المثني كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية الذين أوقدوا أنفسهم مصابيح تنير لنا درب العلم والمعرفة، وأخص بالذكر منهم الأستاذ المساعد الدكتور باسم خيرى خضير عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية، والأستاذ الدكتور علي فرحان جواد، والأستاذ الدكتور عايد جدوع حنون، والأستاذ الدكتور ستار جبار رزيح، الأستاذ الدكتور أحمد عبد الكاظم علي.

٣- السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور جبار اهلل زغير والأستاذ المساعد الدكتور ميثاق حسن عبد الواحد والأستاذ المساعد الدكتور محمود عبد حمد اللامي.

٤- عائلتي، العطاء الذي لا ينضب أبي وأمي، سندي أخوتي وأخواتي، حبيبتي الغالية زوجتي.

٥- القائمين على مكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة المثني.

٦- زملائي وأصدقائي وكل من مد لي يد العون.

الباحث

حازم موحان

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ - ث
التمهيد	١٦-١
المعنى: مفهومه وأنواعه	٦-٢
أسباب تعدد المعنى عند المفسرين	٨-٦
التوجيه النحوي: مفهومه	١٠-٩
أسباب تعدد التوجيه النحوي	١٤-١١
العلاقة بين المعنى وتعدد التوجيه النحوي	١٦-١٤
الفصل الأول: المعنى وتعدد التوجيه في مرجع الضمير	٥٣-١٧
مفهوم الضمير وأقسامه	٢٠-١٨
مرجع الضمير	٢١-٢٠
المبحث الأول: تعدد توجيه مرجع الضمير المستتر	٢٩-٢٢
المبحث الثاني: تعدد توجيه مرجع الضمير الظاهر	٥٣-٣٠
أولاً: ضمير المخاطب	٣٤-٣٠
ثانياً: ضمير الغائب	٥٣-٣٤
ضمير الرفع	٤١-٣٤
ضمير النصب	٤٧-٤٢
ضمير الجر	٥٣-٤٧
الفصل الثاني: المعنى وتعدد التوجيه في الاسم الظاهر	٨٣-٥٤
تعدد التوجيه النحوي في الاسم الظاهر	٥٦-٥٥
المبحث الأول: تعدد التوجيه بسبب العلامة الإعرابية	٧١-٥٧
الاتفاق في العلامة الإعرابية	٦٨-٥٧
الرفع	٦٢-٥٧
النصب	٦٨-٦٢

٧١-٦٨	غياب العلامة الإعرابية
٨٣-٧٢	المبحث الثاني: تعدد التوجيه بسبب الصيغة
٧٩-٧٢	أولاً: اتفاق الصيغة مع تعدد الوظائف النحوية للاسم الواحد
٨٣-٧٩	ثانياً: الاشتراك في الصيغة والاختلاف في المعنى
١١٤-٨٤	الفصل الثالث: المعنى وتعدد التوجيه في شبه الجملة
٨٩-٨٥	مفهوم شبه الجملة وأقسامها وسبب التسمية
٩١-٨٩	تعلق شبه الجملة ودوره في تعدد المعنى
١٠٠-٩٢	المبحث الأول: تعدد التوجيه في الجار والمجرور
١١٤-١٠١	المبحث الثاني: تعدد التوجيه في ظرف
١٠٧-١٠١	أولاً: ظرف الزمان
١١٤-١٠٨	ثانياً: ظرف المكان
١٤٠-١١٥	الفصل الرابع: المعنى وتعدد التوجيه في الجملة
١١٩-١١٦	مفهوم الجملة عند النحويين قديماً وحديثاً
١٢٠-١١٩	تقسيم الجملة عند النحويين
١٣٣-١٢١	المبحث الأول: تعدد التوجيه في الجمل
١٢٨-١٢١	أولاً: الجملة الاسمية
١٣٣-١٢٨	ثانياً: الجملة الفعلية
١٤٠-١٣٤	المبحث الثاني: مسائل متفرقة تتعلق بتعدد توجيه الجمل
١٣٥-١٣٤	١ - تعدد التوجيه في جملة (كان)
١٣٦	٢ - تعدد التوجيه في البسمة
١٣٧-١٣٦	٣ - تعدد التوجيه في ترتيب الكلام
١٣٨	٤ - الحذف والتقدير
١٤٠-١٣٨	٥ - الإثبات والنفي
١٤٠	٦ - تردد الجملة بين الخبر والإنشاء
١٤٢-١٤١	الخاتمة والنتائج

١٥٨-١٤٣	قائمة المصادر والمراجع
A-B	الملخص باللغة الإنجليزية

مُقَدِّمَةٌ

مُقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فقد عُني العلماء والباحثون قديماً ومحدثين بالدراسات القرآنية؛ خدمةً لكتاب الله
العزیز، وطلباً لمرصاته، فأُسفرت هذه العناية عن كشف غور كثير من العلوم التي كانت غائبة
عنهم، وبزوغ فجر علوم أخرى لم تكن معروفة عندهم، منها علوم العربية والمعنى وعلوم
التفسير وغيرها الكثير؛ فأصبحت الدراسات القرآنية أساساً لا بد للمهتم بالعلوم الانسانية - سواء
اللغوية منها أم الاجتماعية - من المرور بها والتوقف عندها.

وقد نمت عند الباحث رغبة مبكرة في دراسة المعاني القرآنية والوقوف على آراء علماء
التفسير، فلما اقترح الأستاذ المشرف علي هذه الدراسة الموسومة بـ (المعنى وتعدد التوجيه
النحوي في تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي) وجد فيها ما كان يبحث عنه.
وقد ركزت الدراسة على بيان سبب من الأسباب التي أدت إلى اختلاف المفسرين في
بيان معاني الآيات القرآنية ألا وهو تعدد التوجيه النحوي وأثره في إظهار المعنى من دون
الخوض في بيان الأسباب الأخرى.

وحاولت الدراسة أن تجيب عن الأسئلة الآتية :

ما العلاقة بين تعدد التوجيه النحوي وتعدد المعنى؟

هل يتعدد المعنى إذا تعدد توجيه مرجع الضمير في الآية نفسها؟

هل يتعدد المعنى إذا تعدد توجيه إعراب الاسم في الآية نفسها؟

هل يتعدد المعنى إذا تعدد توجيه تعلق شبه الجملة بما قبله أو بعده ؟

هل يتعدد المعنى إذا تعدد توجيه الجملة في النص أو الآية القرآنية الواحدة؟

وللسير بهذا البحث يفترض الباحث أن الإجابة عن الأسئلة السابقة ستكون (نعم)،
وسار البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي، معتمداً القراءة الموجودة في المصاحف المتداولة
وهي قراءة حفص عن عاصم، من دون الأخذ بباقي القراءات إلا على سبيل الاستتضاء

والتعزيد؛ لأنّ القراءات المختلفة تُنتج جُملاً مختلفة، لا تقع في نطاق البحث في التوجيهات المتعددة للكلمة نفسها أو الجملة.

وقد فرضت طبيعة البحث أن تكون الخطة على أربعة فصول يسبقها التمهيد وتتلوها خاتمة، وقف التمهيد على مفهوم المعنى، وأنواعه، والأسباب التي تؤدي إلى تعدده، ووقف على مفهوم التوجيه النحوي والأسباب التي تؤدي إلى تعدد التوجيه النحوي، وجاء الفصل الأول موسوماً بـ (المعنى وتعدد التوجيه في مرجع الضمير) واشتمل على مقدمة ومبحثين، وقفت المقدمة على مفهوم الضمير وأقسامه، ومفهوم مرجع الضمير، وضمّ المبحث الأول تعدد توجيه مرجع الضمير المستتر، وضمّ المبحث الثاني تعدد توجيه الضمير الظاهر للمخاطب، وللغائب في حالة الرفع والنصب والجر، واشتمل الفصل الثاني الموسوم بـ (المعنى وتعدد التوجيه في الاسم الظاهر) على مقدمة ومبحثين، وقفت المقدمة على مفهوم التعدد الإعرابي للاسم الظاهر، وجاء المبحث الأول بعنوان تعدد التوجيه نتيجة العلامة الإعرابية متناولاً عنوانين: أحدهما: نتيجة الاتفاق في العلامة الإعرابية، وثانيهما: نتيجة غياب العلامة الإعرابية، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان تعدد التوجيه نتيجة الصيغة مشتملاً على موضوعين: أولهما: اتفاق الصيغة مع تعدد الوظائف النحوية للاسم الواحد، والآخر: اشتراك الصيغة والاختلاف في المعنى، أمّا الفصل الثالث فجاء موسوماً بـ (المعنى وتعدد التوجيه في شبه الجملة)، وقد اشتمل على مقدمة ومبحثين، وقفت المقدمة على مفهوم شبه الجملة وأقسامها وسبب تسميتها بهذا الاسم، وعلى مفهوم تعلق شبه الجملة بدوره في تعدد المعنى، وتناول المبحث الأول تعدد التوجيه في الجار والمجرور، وتناول المبحث الثاني تعدد التوجيه في الظرف، وجاء على قسمين: أولهما: ظرف الزمان، والآخر: ظرف المكان، واشتمل الفصل الرابع الموسوم بـ (المعنى وتعدد التوجيه في الجملة) على مقدمة ومبحثين، تناولت المقدمة مفهوم الجملة عند النحويين قديماً وحديثاً، وتقسيم الجمل عندهم، وجاء المبحث الأول تحت عنوان (تعدد التوجيه في الجمل)، واشتمل على قسمين: الأول: الجملة الاسمية، والثاني: الجملة الفعلية، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان (مسائل متفرقة تتعلق بتعدد توجيه الجمل)، أمّا الخاتمة فقد اشتملت على مجموعة من النتائج التي توصل إليها الباحث.

وقد تناولت الدراسة المفردات والمركبات في سياقاتها المختلفة، فبدأت بدراسة المفرد وصولاً إلى الجملة على وفق أسلوب دراسة الجزء للوصول إلى الكل، وقد اعتمدت منهج كتابية اسم السورة ورقم الآية بعد ذكر الآية في المتن؛ حتى لا يثقل الهامش بكثرة الإحالات، واعتمدت أن تعرض رأي السيد الطباطبائي في اختيار المعنى وبعد أن عرضت الوجوه النحوية، ذكرت آراء بعض المفسرين في هذه الوجوه؛ لتبين في ذلك اختيار السيد الطباطبائي، ومدى مطابقته أو مخالفته لاختيارات المفسرين الآخرين .

وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر أهمها كتب التفسير، وكتب النحو. وقد واجهت الباحث مجموعة من الصعوبات في بحثه أهمها الأوضاع العامة التي يمر بها العالم بسبب جائحة كورونا، والأوضاع الخاصة التي مرَّ بها البلد خاصة، متمثلة بالأوضاع الصحية والسياسية التي أدت إلى غلق الجامعات والكليات وما ترتب عليها من غلق للمكتبات. وفي الختام لا بد من وقفة شكر وامتنان لجميع أساتذتي في كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وشكر خاص للأستاذ المفضل الأستاذ الدكتور احمد حسين عبد السادة، الذي أشار عليّ بهذا الموضوع وتفضل عليّ بقبوله الإشراف، ولم يبخل عليّ بوقته وجهده وعلمه، فكان نعم الأب والأخ فجزاه الله عني أفضل جزاء المحسنين، والحمد لله رب العالمين.

الباحث

حازم موحان

التمهيد

المعنى: مفهومه، وأنواعه.

أسباب تعدد المعنى عند المفسرين.

التوجيه النحوي: مفهومه.

أسباب تعدد التوجيه النحوي.

العلاقة بين المعنى وتعدد التوجيه.

التمهيد

المعنى: مفهومه، وأنواعه:

عُرِفَ الكلام بأنّه "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"^(١)، وما قُصِدَ بالفائدة التي يحسن السكوت عليها إلّا المعنى التام الكامل^(٢)، ومنه يُفهم أنّ النحويين قد وضعوا للكلام ركنين أساسيين هما: اللفظ والمعنى^(٣)، وإن كان اهتمامهم الأكبر منصباً على اللفظ؛ لغرض التقعيد، إلّا أنّهم لم يهملوا المعنى في عملية التقعيد، وهذا ما يتضح في حديثهم عن الفاعل والمفعول والحال والتمييز وغيرها، وطريقة عرض الكثير من المواضيع النحوية، كالأساليب، ومعاني الحروف، والحمل والتضمين وغيرها؛ ولا عجب في ذلك فاللفظ هو وعاء المعنى الذي يتضمنه و ينقله من شخص إلى آخر.

ولم تقتصر العناية بالمعنى على النحويين فقط، بل نال عناية العلماء على اختلاف توجهاتهم، فألف اللغويون المعجمات التي مثلت الرافد الأول في الكشف عن معاني الكلمات المفردة، فجمعوا المادة الواحدة للفظ وما ينتج عنها من اشتقاق وما يطرأ عليها من تجديد في المعنى إثر التطور والاستعمال، ونال المعنى عناية الكلاميين، وطال جدلهم في المفاضلة بينه وبين اللفظ، وخاصة عند قيام فتنة خلق القرآن وما رافقها من جدل بين الفرق المختلفة كالأشاعرة والمعتزلة والجهمية، وامتدت قضية اللفظ والمعنى لتلقي بظلالها على عناية البلاغيين والنقاد عبر دراستهم للإعجاز القرآني، فانقسموا إلى عدة طوائف، طائفة منهم تعطي السبق والشرف للفظ على المعنى، وعلى رأسهم الجاحظ (٢٥٥هـ) الذي يقول: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر

(١) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين ابن عقيل الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م): ١/١٤.

(٢) ينظر: شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط١، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م): ١/١٥٧.

(٣) ينظر: المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب - بيروت، (د.ت): ١/٣.

اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك^(١)، وأخرى تذهب للتسوية بين اللفظ والمعنى، إذ إنَّ كلّ واحد منهما يمكن أن يتعرض للحسن والقبح، ويتضح ذلك فيما ذهب إليه ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في تقسيمه الشعر على أربعة أنواع، منها ما حسن لفظه وجاد معناه، ومنها ما حسن لفظه وقبح معناه، ومنها ما حسن معناه وقبح لفظه، ومنها ما قبح فيه اللفظ والمعنى^(٢)، وطائفة ذهبت إلى القول بالعلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في نظرية النظم.

وقد عني المفسرون بتفسير كتاب الله العزيز، والكشف عن معاني آياته على وفق مناهج خاصة تتباين من مفسر إلى آخر؛ فنشأت عندهم مصطلحات خاصة بالمعنى كالتفسير، والتأويل، والتفكير والتدبر، وهذه المصطلحات جميعها منضوية تحت راية المعنى، وربما شاع مصطلحا التفسير والتأويل عندهم أكثر من المصطلحات الأخرى، وأصبح التفريق بينهما مدار جدل، فذهب قوم إلى القول: إنهما واحد^(٣)، فأطلقوا لفظ التأويل على التفسير، ونقل عن ابن الأعرابي^(٤) (٢٣١هـ) أنه قال: "التفسير والتأويل والمعنى واحد"^(٥)، وقد أطلق بعض العلماء مصطلح أهل التأويل على المفسرين كقول الأخفش (٢١٥هـ) في حديثه عن تعدي (سَفِهَة) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، إذ قال:

(١) كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥)، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م): ١٣١/٣ - ١٣٢.

(٢) ينظر: الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، (١٤٢٣هـ): ٦٩-٦٥/١.

(٣) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م): ١٩٢/٤.

(٤) محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله: راوية، ناسب، علامة باللغة، من أهل الكوفة، توفي في سامراء سنة (٢٣١هـ) له تصانيف كثيرة، منها (أسماء الخيل وفرسانها)، و(تاريخ القبائل) و (النوادر) وغيرها، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م): ١٣١/٦.

(٥) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، (٢٠٠١م): ٣٨٣/١٢.

"وزعم أهل التأويل أنه في معنى سَفَه نفسه"^(١)، وذهب بعضهم إلى القول: إِنَّ التفسير أعمّ من التأويل، قال الراغب (٥٠٢هـ): "التفسير أعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها"^(٢)، فجعل التأويل خاصاً بالكتب المنزلة من الله تعالى، والتفسير عاماً لا يقتصر عليها، ومنهم من قال: إِنَّ التفسير خاص بالرواية والتأويل خاص بالدراية^(٣)، وذهب الماتريدي^(٤) (٣٣٣هـ) إلى القول: إِنَّ التفسير هو القطع بأنّ مراد اللفظ هذا بالدليل، أمّا التأويل فهو ترجيح أحد الاحتمالات من دون القطع^(٥)، ومنهم من ذهب إلى أنّ التفسير بيان المعاني عن طريق العبارة والتأويل بيانها عن طرق الإشارة^(٦)، وربما زاد بعضهم في تفرقه بين المصطلحات حتى عد كل من المعنى والتفسير والتأويل مصطلحات متباينة لكل منها دلالة تختلف عن الأخرى، قال الزركشي (٧٩٤هـ) في معرفة تفسيره وتأويله: "معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء وهو يتوقف على معرفة تفسيره وتأويله ومعناه قال ابن فارس (٣٩٥هـ): معاني العبارات التي يعتبر بها عن الأشياء ترجع إلى المعنى والتفسير والتأويل وهي وإنّ اختلفت فالمقاصد بها متقاربة"^(٧)، فجعل كلاً من المعنى والتفسير والتأويل مصطلحات متباينة متقاربة المقاصد. والذي يبدو للباحث أنّ هذه المصطلحات دالة على مستويات مختلفة من

(١) معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م): ١٥٧/١.

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م): ١١/١.

(٣) ينظر: الإتيقان في علوم القرآن: ١٩٣/٤.

(٤) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) توفي سنة (٣٣٣هـ)، من كتبه (التوحيد)، و(أوهام المعتزلة)، وكتاب (الجدل) و (تأويلات القرآن) و (تأويلات أهل السنة) وغيرها، ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، - أيار / مايو (٢٠٠٢م): ١٩/٧.

(٥) ينظر: الإتيقان في علوم القرآن: ١٩٢/٤.

(٦) ينظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، (د. م)، (د. ت): ١٧/١.

(٧) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م): ١٤٦/٢.

المعنى، فلكل مصطلح منها مستوى معين، إذ إنّ المعنى يمثل تفاعل العقل البشري مع النص أو اللفظ، ولا شك أنّ هذا التفاعل يختلف من شخص إلى آخر، وهذا الاختلاف يتوقف على عوامل عدة منها ثقافية وبيئية وزمانية ومكانية، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفكرة، إذ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، قال ابن كثير (٧٧٤هـ): "أي: سهّلنا لفظه، وبسّرنا معناه"^(١)، وهذا المستوى هو مستوى عام يمكن أن يفهمه عامة الناس الذين يتكلمون العربية، ولكن هنالك مستوى أعلى يتعذر إدراكه إلا لمن توفرت فيه شروط خاصة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد أدرك العلماء المحدثون هذه الفكرة؛ فقسموا المعنى إلى عدة أنواع، منها المعنى الأساسي أو الأولي وهو المعنى المستهدف من عملية الاتصال اللغوي، إذ يمثل الوظيفة الأساسية للغة المتمثلة بالتفاهم ونقل الأفكار، ومنها المعنى الثانوي أو الإضافي وهو معنى زائد على المعنى الأول يفهم عن طريق ما يشير إليه اللفظ، ويتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة، ومنها المعنى الأسلوبى، وهو معنى خاص بالنصوص الأدبية، يتوقف على عدة عوامل منها اجتماعية أو جغرافية، ونوع اللغة المستخدمة، والعلاقة بين المتكلم والسامع، ومنها المعنى النفسي الذي يشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد، ومنها المعنى الإيحائي وهو معنى يتعلق بنوع من الكلمات ذات القدرة الإيحائية^(٢).

وقد نشأت في العصر الحديث نظريات عدة لتفسير المعنى ودراسته^(٣):

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تج: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط١، (١٤١٩هـ): ٤٧٨/٧.

(٢) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م): ٣٦ - ٤٠، اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتطبيق، د. ميشال عازار مخايل، المؤسسة الحديثة للكتاب لبنان، ط١، (٢٠١٢م): ٣٤ - ٣٧.

(٣) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٥٤ - ١١٤، اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتطبيق: ٤٢ - ١٠٧.

١- النظرية الإشارية التي تنص على أنّ كل لفظ (رمز) يعبر عن شيء خارجي (مدلول) يربط بينهما صورة ذهنية تسمى المرجع أو الفكرة، وفي هذه النظرية رأيان، الأول يرى أنّ المعنى هو ما تشير إليه الكلمة، والثاني يرى أنّ المعنى هو العلاقة بين اللفظ والمُعبر عنه.

٢- النظرية التصورية التي ترى أنّ الألفاظ هي إشارة معبرة عن الأفكار، فاللغة تمثل وسيلة لنقل الأفكار بين الأشخاص نقلاً أميناً، إذ إنّ التعبير لا بد أن يستدعي الفكرة نفسها في ذهن السامع من دون نقص أو زيادة.

٣- النظرية السلوكية التي ترى أنّ اللغة هي سلوك نطقي، وإنّ هذا السلوك ينشأ كاستجابة لمؤثر ما، ثم يتحول لمثير يستدعي استجابة أخرى.

٤- النظرية السياقية التي ترى أنّ معنى الكلمة هو طريقة استعمالها في اللغة، والدور الذي تؤديه، وإنّ هذا المعنى لا ينكشف إلاّ بوضعها في السياقات المختلفة.

٥- نظرية الحقول الدلالية، إذ تُجمع الكلمات المرتبطة دلاليّاً، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها مثل كلمات الألوان - الأحمر، الأخضر ...- التي توضع تحت اللفظ العام (لون)، ويرى أصحاب هذه النظرية أنّك إذا أردت أن تفهم معنى كلمة ما، لا بد أن تفهم مجموعة الكلمات المرتبطة بها دلاليّاً، فالمعنى هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل نفسه.

٦- النظرية التحليلية التي تدرس معاني الكلمات على وفق مستويات متدرجة، تبدأ بتحليل الكلمات وبيان العلاقة بين معانيها في كل حقل دلالي، ثم تحلل كلمات المشترك اللفظي وتبين معانيها المتعددة، ثم تحلل المعنى الواحد إلى العناصر المكونة له.

أسباب تعدد المعنى عند المفسرين:

اختلف المفسرون في تفسير كثير من الآيات القرآنية الكريمة وبيان معانيها، وقد قسم علماء التفسير هذا الاختلاف إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة، أشهرها^(١):

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، تقديم د. محمد بن صالح الفوزان، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع الرياض، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م): ٥٧.

- ١- اختلاف التنوع: وهو أن تحمل الآية على جميع الأقوال التي قيلت في تفسيرها، أي أن المعاني التي قال بها المفسرون جميعها محتملة، وهذا النوع هو الأكثر في اختلاف المفسرين.
- ٢- اختلاف التضاد: وهو أن يقال في الآية قولان متضادان أو أكثر، إذ يلزم القول بأحدهما عدم القول بالآخر.

والذي يتتبع أسباب هذا الاختلاف يجدها متنوعة، منها ما يعود إلى المفسر نفسه، كثقافة المفسر، والمنهج الذي يتبعه في التفسير، والعصر الذي هو فيه^(١)، ومنها ما يعود إلى طبيعة النص القرآني، وأسباب نزوله، وأوجه القراءات فيه^(٢)، ويمكن أن نجمل أهم هذه الأسباب في عدة نقاط هي^(٣):

- ١- المشترك اللفظي: وهو أن يكون للفظ الواحد أكثر من معنى، من ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]، فلفظة عسعس تحتمل معنى أقبل، وتحتمل معنى أدبر.

- ٢- الاختلاف في مرجع الضمير؛ إذ يكون في الآية الكريمة ضمير يعود على أكثر من مرجع، وهذا يؤدي إلى اختلاف المعنى، منه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الإنشاق: ٦]، قيل: ملاق ربك، وقيل: ملاق عمك.

- ٣- تقدير المحذوف: وهو أن يكون في الجملة حذفٌ يُخْتَلَفُ في تقديره، من ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَتَرَعَّبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، فقيل: ترغبون في نكاحهن، وقيل: ترغبون عن نكاحهن.

- ٤- الاختلاف في صيغة الكلمة: وهو أن تحتمل اللفظة أكثر من صيغة، من ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۖ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ﴾ [القلم: ٥-٦]، "فالمفتون تحتمل أن

(١) ينظر: أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، (أطروحة دكتوراه)، عبد الإله حوري الحوري، جامعة القاهرة كلية العلوم قسم الشريعة الإسلامية، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م): ٣٢-٨٦.

(٢) ينظر: نفسه: ١٠٧-١٧٦.

(٣) ينظر: فصول في أصول التفسير: ٦٤-٦٩، أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام: ١٠٧-٢٠٦، اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، أ. د. سعود بن عبدالله الفنينسان، دار أشبيليا، ط١، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م): ٥٩-١٢٨.

تكون اسم مفعول بمعنى (المجنون) فتكون الباء زائدة في المبتدأ كما في قولهم (بحسبك درهم) ويكون المعنى فستبصر ويبصرون أيكم المفتون أي المجنون.

وتحتل أن تكون مصدراً بمعنى الفتنة كالمجلود والمعقول والمعسور والمكذوب.

ومعنى المفتون على هذا (الجنون)، والمعنى فستبصر ويبصرون بأيكم الجنون أي بأي الفريقين منكم أ بفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين؟^(١)

٥- التنوع في استعمال اللفظ في العربية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١]، فيحتل الرجم بالحجارة، ويحتل الرجم بالسب والشتيم.

٦- الاختلاف في كون الآية منسوخة أو محكمة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، قيل: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقيل: إنها من المحكمات.

٧- الاختلاف في العموم والخصوص، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فقيل: إن الآية عامة، فتكون الكتابيات داخلة في حكمها، ثم خصصت بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقيل: إنها خاصة بالمشركات من عبدة الأوثان.

٧- الاختلاف في القراءات القرآنية، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، ففي قوله (ضنين) قراءتان، أحدهما بالضاد، فتكون (ضنين) بمعنى بخيل، والأخرى بالظاء، فتكون (ظنين) من الظن، بمعنى متهم.

(١) الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر - المملكة الأردنية الهاشمية - عمان، ط٢، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م): ١٥٠.

التوجيه النحوي: مفهومه.

التوجيه في اللغة: هو مصدر الفعل الرباعي المضعف (وجّه)، يقال: "وجّهت الريح الحسا توجيهاً، إذا ساقتة"^(١)، "ويقال: خرج القوم فوجّهوا للناس الطريق توجيهاً، إذا وطّئوه وسلّكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه"^(٢)، والوجه في اللغة هو المحيا^(٣)، "والوجه مستقبل كل شيء"^(٤)، أمّا الوجهة فهي القبلة^(٥)، والمواجهة هي المقابلة^(٦)، يقال: "قعدت وجاهك أي قبالتك"^(٧)، ووجوه القرآن هي المعاني التي يحتملها^(٨)، ويقال: وجه الرأي ويراد به الرأي نفسه^(٩)، أمّا وجه الكلام فهو القصد منه^(١٠)، والطريقة التي يقال بها.

فالتوجيه في اللغة هو بيان طريقة الشيء وسبيله.

أمّا في الاصطلاح: فإنّ مصطلح التوجيه لم يقتصر على علم النحو، فقد عرفته علوم العربية الأخرى، كعلم العروض وعلم البلاغة^(١١)، لكنّه استخدم في كتب النحو والتفسير بكثرة حتى لا يكاد يخلو كتاب تفسير من هذا المصطلح.

ويرى الدكتور تمام حسان أنّ هذا المصطلح لم ينل العناية الكبيرة لتحديده عند النحويين وتضييق مدلوله، والتوجيه عنده هو تحديد وجه ما للحكم، والحكم هو الركن الرابع من أركان

(١) تهذيب اللغة، (هـ ج): ١٨٦/٦.

(٢) نفسه: ١٨٧/٦.

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيّده المرسى (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، (و ج هـ): ٣٩٦/٤.

(٤) تهذيب اللغة (هـ ج): ١٨٦/٦.

(٥) ينظر: نفسه: ١٨٦/٦.

(٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، (وجه): ٢٢٥٥/٦.

(٧) نفسه، (وجه): ٢٢٥٤/٦.

(٨) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣، (١٤١٤هـ)، ٥٥٦/١٣.

(٩) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (وجه): ٢٢٥٤/٦.

(١٠) ينظر: لسان العرب: ٥٥٦/١٣.

(١١) ينظر: التوجيه النحوي لتداخل التوابع في القرآن الكريم، موسى سالم إبراهيم ابو جليدان، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م): ٨ - ١١.

القياس، وهو إما أن يكون وجه استدلال أو وجه تأويل، والاستدلالي إما على وجه السماع، فيقال مثلاً في: "الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّيْلُ"^(١): وجهه كسر التاء حتى في خطاب المذكر لأنه هكذا سمع والأمثال لا تتغير، أو يكون التوجيه لاستدلال على وجه القياس، وفي هذه الحالة إما أن يُحمَل لفظ على لفظ، أو يحمل لفظ على المعنى فيسمى الوجه حملاً، وإما أن يكون بتعليل القياس بعلّة أو طرد أو شبه أو قاعدة وعندها يكون الوجه من قبيل التعليل.

أما الوجه التأويلي عنده فهو أن يكون العنصر اللغوي المراد تأويله ذا أصل قريب ظاهر، حيث لا يتطرق الذهن إلى إمكان رده إلى أصل غيره، وفي هذه الحالة يسمى الوجه التأويلي بـ (الرد)، أو يكون الأصل موهماً يتطلب التحديد، أو ممتنعاً يتطلب التبرير؛ فيسمى الوجه التأويلي بـ (التخريج)، وبذلك يقتصر التوجيه التأويلي على الرد والتوجيه^(٢).

ويعرّف التوجيه النحوي بأنه: "العملية التي يقوم بها [النحويون] لبيان حالة الإعراب، أو الحكم النحوي، أو الحكم الصرفي"^(٣).

ويقترن مصطلح (التوجيه النحوي) بمصطلح (الوجه النحوي)، والوجه هو "ذكر المعنى النحوي الخاص بالحالة الإعرابية الواحدة ككون الكلمة الواحدة مرفوعة لأنها فاعل، أو مبتدأ أو غير ذلك من المعاني النحوية التي يكون عليها الرفع"^(٤)، فالوجه النحوي هو بيان الوظيفة النحوية للكلمة، أما التوجيه النحوي فهو بيان الوجه، أو العملية التي يوضح فيها الوجه، أو هو بيان الطريقة التي جاء عليها الكلام على وفق قواعد اللغة العربية، أما تعدد التوجيه النحوي فهو بيان تعدد الوجوه النحوية، أو الوظيفة النحوية التي تحتلها الكلمة أو الجملة، التي توافق قواعد اللغة العربية.

(١) يضرب لمن قَنَعَ باليسير إذا لم يجد الخطير، مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، (د. ت): ٦٨/٢.

(٢) ينظر: الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو - فقه اللغة - البلاغة، تمام حسان عالم الكتب، القاهرة، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م): ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) قواعد التوجيه عند ابن الأنباري، (رسالة ماجستير)، أحمد نزال غازي الشمري، جامعة القاهرة كلية دار العلوم قسم النحو والصرف والعروض، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م): ١٥.

(٤) قواعد التوجيه في النحو العربي، (إطروحة دكتوراه)، عبد الله الخولي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، (١٩٩٧م):

أسباب تعدد التوجيه النحوي:

إنّ ظاهرة تعدد التوجيه النحوي ظاهرة قديمة، بدأت مع نشأة علم النحو، وكان لها الدور الأبرز في إثراء هذا العلم بما اشتملت عليه من طرح وردود ونقاش، كانت من نتائج استقامة عود هذا العلم، واستقراره على النحو الذي هو عليه اليوم.

والذي يبحث في هذه الظاهرة، يجد أنّ العناصر المنتجة لها متعددة، فمنها ما يعود إلى طريقة التفكير النحوي عند النحويين، والبيئة المنتجة له؛ إذ تتميز كل مدرسة نحوية بطريقة خاصة بها، فضلاً عن تباين النحويين أنفسهم داخل المدرسة نفسها، فنجد مثلاً المدرسة البصرية تلتزم طريقة معينة تختلف عن الطريقة التي تلتزم بها المدرسة الكوفية، كاختلافها مثلاً في شروط قبول الشاهد النحوي، وهذا ما أنتج مجموعة من القواعد التي تميزت بها هذه المدرسة عن غيرها، وهو ما ينطبق على المدارس النحوية الأخرى، ومعنى أنّ النحوي ينتمي إلى هذه المدرسة من دون غيرها يفرض عليه الالتزام بمجموعة من القواعد التي تعد سمة بارزة لهذه المدرسة من دون سواها، وينتج عن هذا الالتزام اختلاف بين النحويين في توجيه مثال ما، أو آية قرآنية توجيهاً نحوياً، ومثال هذا الاختلاف اختلاف البصريين والكوفيين في تقديم الفاعل على فعله، إذ ذهب الكوفيون إلى القول بجواز التقديم، وذهب البصريون إلى القول بالمنع^(١)، ففي قولنا: (زيدٌ قامَ)، زيد فاعل على مذهب الكوفيين، ومبتدأ على مذهب البصريين، فأخذ النحويون يتسابقون في نصرّة مذهب المدرسة التي ينتسبون إليها، فذهب كل منهم ليدلو بدلو، فكان هذا دافعاً من دوافع التعدد والاختلاف فيما بينهم، فوضعوا عللاً وتوجيهات قد يكون كثير منها مخالفاً لطبيعة اللغة وواقعها، فمنهم من ذهب إلى القول: إنّ "الفعل والفاعل كجزأي كلمة، فلا يجوز أن يتقدم الفاعل على الفعل مع بقاء فاعليته كما لا يتقدم عجز الكلمة على صدرها"^(٢)، ومنهم من قال: إنّ الفاعل "إذا تقدم على الفعل أمكن أن يقدر له عامل غير الفعل،

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط ١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، مسألة رقم (٨٥): ٥٠٤/٢، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هندائي، المكتبة التوفيقية - مصر، (د.م)، (د.ت): ٥٧٦/١.

(٢) شرح الكافية الشافية: ٥٨٠/٢.

وَهُوَ الْإِبْتِدَاءُ وَعَمَلُهُ الرفع، كَعَمَلِ الْفِعْلِ فِي الْفَاعِلِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِبْتِدَاءُ سَابِقًا لذكر الْفِعْلِ، وَجِبَ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ^(١)، فضلاً عن علل أخرى غير التي ذكرت، وقد يصبح الأمر أكثر تعقيداً إذا اجتمعت هذه القاعدة مع قاعدة أخرى في قول واحد يوجب التضاد بينهما، من ذلك قولهم في توجيه إعراب كلمة أحد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا آمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، إذ اجتمعت القاعدة الأولى مع القاعدة التي تقول: اشتراط الجملة الفعلية مع الشرط غير لولا عند جمهور البصريين والكوفيين إلا الأخفش، فذهب الكوفيون إلى القول: إِنَّ أَحَدَ فاعل الفعل المذكور، والتقدير: (إِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَجِرْهُ)، أما البصريون فقالوا: إِنَّهُ فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور والتقدير (إِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ)، وذهب أبو الحسن الأخفش إلى القول بأنها مبتدأ^(٢).

وهذا ينطبق على الكثير من القواعد النحوية التي أقرتها المدارس، وأصبحت أشبه بالثوابت التي يسير عليها أكثر النحويين الذين ينسبون إلى هذه المدارس.

ومن أهم العوامل المنتجة لتعدد التوجيه النحوي ما يعود لطبيعة اللغة العربية وما تشتمل عليه من خصائص لغوية يمكن أن نعد بعضاً منها :

١- الاشتراك في العلامة الإعرابية:

من المعروف في اللغة العربية وجود علامات إعرابية محدودة إذا ما قيست بالمواقع الإعرابية المختلفة، فنجد الاشتراك بالرفع الذي تمثله علامة الرفع الأصلية في الغالب وهي الضمة - أو ما ينوب عنها - تتدرج تحته الكثير من المواقع الإعرابية المختلفة كالمبتدأ والخبر والفاعل و نائب الفاعل واسم الفعل الناقص وخبر الحرف المشبه بالفعل وتوابع المرفوعات وغيرها، وهذا ينطبق على النصب والجر، فإذا احتملت كلمة ما داخل التركيب أكثر من موقع

(١) علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (ت: ٣٨١هـ)، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م): ٢٧١/١.

(٢) ينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: ٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (٢٠٠٨م): ١٠١/١، ٤٢٩/١، ٣/٢، ١٦١/٣٢٢، ٨٦/٢-٨٧، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، مسألة رقم (٨٥): ٥٠٤/٢-٥٠٧.

إعرابي واحد من دون وجود ما يرجح احدها على الآخر أو يلغيه، حصل حينها الاختلاف في توجيه إعراب هذه الكلمة، من ذلك ما نجده في توجيه إعراب (المؤتون) في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرِّسْخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]؛ إذ ذكر في توجيهها خمسة أقوال، الأول الرفع على الابتداء، والثاني الرفع على إضمار مبتدأ على تقدير (فهم المؤتون الزكاة)، والثالث العطف على المضمرة الذي في المقيمين، الرابع العطف على المضمرة الذي في يؤمنون على تقدير (يؤمنون هم والمؤتون)، الخامس العطف على (الراسخون)^(١).

٢- غياب العلامة الإعرابية :

يوجد في العربية بعض الكلمات التي تغيب عنها العلامة الإعرابية داخل التركيب لأسباب مختلفة، منها الكلمات المبنية، والكلمات التي تنتهي بحرف علة يمنع ظهور بعض علامات الإعراب، وبعض الكلمات التي قد يشغل الحرف الأخير منها بحركة مناسبة وغيرها، وقد يؤثر هذا الأمر على تحديد الموقع الإعرابي للكلمة داخل الجملة أو التركيب تحديداً دقيقاً، إذ تمثل العلامة الإعرابية أهم الدلائل على المعاني النحوية المتمثلة بالفاعلية والمفعولية وغيرها، فإذا غابت من دون وجود ما يرجح أحد هذه المعاني على غيرها؛ نتج عن غيابها تعدد في احتمالات إعراب الكلمة وتوجيهها^(٢)، من ذلك ما نجده في توجيه إعراب (الذين) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]؛ إذ لهم فيها توجيهات عدة، منها الرفع على الابتداء والخبر (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، والنصب على

(١) ينظر: إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١، (١٤٢١هـ): ٢٥٠/١.

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، ١٩٩٤م: ١٨٠.

إضمار أعني، والجر على أنه نعت للمتقين^(١) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَلْكُتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

٣- أن يحتمل الضمير العودة على أكثر من مرجع :

معروف في اللغة العربية أن الضمائر تدل على الاسم وتعود عليه، وهذا الاسم هو ما يسمى مرجع الضمير، وقد نجد في بعض الجمل أن الضمير يمكن أن يعود على أكثر من اسم واحد، مما يوقع المُعرب له في العديد من الاحتمالات، والتي ينتج عنها تعدد في التوجيه النحوي لهذا الضمير، من ذلك ما نجده في عودة الضمير الهاء في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]؛ إذ احتملوا عودته على النبي محمد - صلى الله عليه واله - ، أو على جبريل عليه السلام^(٢).

٤- احتمال الكلمة لأكثر من صيغة:

توجد بعض الكلمات في اللغة العربية تحتل أكثر من صيغة من ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، إذ إنَّ الفعل (تُضَارَّ) مشترك بين المبني للمعلوم، والمبني للمجهول، وينتج عن هذا الاشتراك تعدد في توجيه إعراب كلمة (وَالِدَةٌ)، إذ تعرب على توجيه البناء للمعلوم فاعل، وعلى توجيه المبني للمجهول نائب فاعل^(٣).

العلاقة بين المعنى وتعدد التوجيه النحوي:

عُرف العرب قبل الإسلام بالفصاحة والبلاغة، وتفننهم في أساليب القول، وتمرسهم عليها، وتشهد لهم بذلك أشعارهم وما وصل إلينا من خطبهم وآثارهم التي عرفتهم بها أسواقهم ومنندياتهم كالمرید وعكاظ؛ فلما جاء الإسلام، أنزل الله تعالى القرآن الكريم على رسوله - صلى الله عليه واله - بلسان عربي مبين، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

(١) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٢٥/١.

(٢) ينظر: نفسه: ١٨٠/٤.

(٣) ينظر: نفسه: ١١٦/١.

[١٩٥]، وقد تحداهم تعالى بأن يأتوا بمثله فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، فعجزوا عن فصاحته وبلاغته، إذ تشير ما وردت عنهم من أخبار أن الوليد بن المغيرة - وهو من فصحاء القوم وبلغائهم - لما سمع القرآن الكريم في الحادثة المشهورة التي تروى لنا كتب التأريخ قال عنه: "والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته"^(١)، فإذا كان هذا هو موقف المعارضين من القرآن الكريم، فإن موقف المسلمين هو التقديس لهذا الكتاب الكريم، وتدبر معانيه ومحاولة فهم أساليب تعبيره، فأعطوه الشيء الكثير من العناية والاهتمام بوصفه أهم مصادر التشريع في الدين الجديد.

إن نزول القرآن الكريم مثل ثورة ثقافية في حياة العرب والمسلمين أسست فيما بعد حضارة فكرية كان من نتائجها كثير من العلوم إذ يمثل النحو احدها، فقد أسهمت عناية العرب والمسلمين بالقرآن الكريم ومحاولة فهم معانيه ومقاصده مع توافر جملة من الظروف الأخرى كاتساع رقعة الإسلام ودخول غير العرب فيه وشيوع اللحن في نشوء علم النحو، إذ تذكر لنا الكتب التي تحدثت عن نشأته كثير من الروايات التي تعزو نشأة النحو لحفظ القرآن الكريم من اللحن^(٢)، فهذه الروايات تدل على إدراك الأوائل لأهمية ابتكار وسيلة - متمثلة بعلم العربية ومن أهمها النحو - للحفاظ على البنية الخارجية للقرآن الكريم بوضع مجموعة من القواعد تحفظ النص الكريم وتعصم القارئ من الوقوع في اللحن أو الخطأ، ولم تكتف بذلك بل أصبحت أداة مهمة للكشف عن معاني النص القرآني والمساعدة في فهم البنية الداخلية له، حتى أصبح هذا العلم أساساً لكل من أراد التبحر في علوم القرآن الكريم والوقوف على تفسيره، يقول الزمخشري (٥٣٨هـ): "وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية ببين لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع، ويرون الكلام في

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، (١٤٢٣هـ): ٢١٢/١٦.

(٢) ينظر على سبيل التمثيل: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف - القاهرة، ط٢، (د. ت): ١٦ - ١٩، النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، د. صلاح روائي، دار الغريب - القاهرة، (د. ت):

معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه (١٨٠هـ)، والأخفش، والكسائي (١٨٩هـ)، والفراء (٢٠٧هـ)، وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين والاستظهار في مآخذ النصوص بأقوالهم والتشبيث بأهداب فسرهم وتأويلهم^(١)، حتى أن العلماء جعلوا التمكن من علم النحو شرطاً من شروط المفسر لأهمية هذا العلم في الكشف عن المعنى العام للنص، إذ إن معرفة المعاني الأساسية التي يكشفها لنا علم النحو كالفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها تعد مدخلاً مهماً لفهم النص القرآني فهماً صحيحاً، فلو أخذنا مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، فإن معرفة الفاعل من المفعول هي التي توضح لنا معنى الآية الكريمة ولولا ذلك لاختلط علينا الأمر، ولذهبنا لمعنى آخر غير المعنى المراد فيها.

ومن المفارقات التي نجدها في العلاقة بين النحو والمعنى أن يكون النحو - بعد أن كان أحد أهم العلوم التي تسعى إلى كشف المعنى وتثبيتته - أداة لتثبيت المعنى، وهذا التثبيت لا يعود إلى قواعد النحو نفسها بل إلى سعة اللغة التي تناولتها هذه القواعد^(٢)؛ ولذلك نجد العلماء يختلفون في التوجيه النحوي لآية من آيات الكتاب الكريم كاختلافهم في توجيه عودة الضمير مثلاً، أو إعراب كلمة من الكلمات، أو غير ذلك؛ فينتج عن هذا الاختلاف اختلاف في معنى الآية الكريمة؛ لاعتماد المعنى كما أسلفنا على المعنى النحوي، ومن أجل الوقوف على خطر التوجيه النحوي وعظيم أثره في المعنى سنتناول الرسالة مجموعة من الأمثلة عند تناولها فصول البحث لتقف على مدى هذا التأثير وخطره.

(١) الفصل في صناعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)

تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ط ١، (١٩٩٣م): ١٨/١.

(٢) ينظر: دراسات نقدية وبلاغية جدل التراث والمعاصرة للدكتور ناصر حلاوي، جمع ودراسة أ. م. د. حامد ناصر

الظالمي، دار ومكتبة البصائر بيروت - لبنان، ط ١، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م): ٥١٧.

الفصل الأول:

المعنى وتعدد التوجيه في مرجع الضمير

- مفهوم الضمير وأقسامه.
- مرجع الضمير.
- المبحث الأول: تعدد توجيه مرجع الضمير المستتر.
- المبحث الثاني: تعدد توجيه مرجع الضمير الظاهر:
 - أولاً: ضمير المخاطب.
 - ثانياً: ضمير الغائب:
 - أ- ضمير رفع.
 - ب- ضمير نصب.
 - ت- ضمير جر.

مفهوم الضمير وأقسامه:

تناول النحويون الضمير في باب النكرة والمعرفة، وكذلك تحدثوا عنه بصورة مبثوثة في كتبهم، إذ يسميه البصريون بالضمير، أو المضمر، وسمّاه الكوفيون بالكناية، أو المكنى^(١)، والتسميتان تحملان الدلالة نفسها، قال سيبويه: "وذلك قولك: هذا قاضي وهؤلاء جواربي، وسكنت في هذا لأن الضمير تصير فيه مع هذه الياء كما تصير فيه الياء في الجر، لأن هذه الياء تكسر ما تلي"^(٢)، وقال: "لا يخلو الفعل من مضمرٍ أو مظهرٍ مرفوعٍ من الأسماء، كأنك قلت إذا مثّلت: ضربني من ثمّ وضربت قومك"^(٣)، وجاء في المقتضب: "فمن ذلك لام الخفض التي يسميها النحويون لام الملك، فقلنا هي مكسورة مع الأسماء الظاهرة ومفتوحة مع الأسماء المضمرّة لعلّة ذكرها وهذا أوان ذكرها أصلها عندنا الفتح كما يقع مع المضمر نحو قولك المال لك والمال لنا والدراهم لكم ولهم وكذلك كل مضمر"^(٤)، وجاء في الأصول: "فلام الإضافة حقها الكسر إلا أن تدخلها على مكنى نحو قولك: له مال، ولك، ولهم، ولها فهي في جميع ذلك مفتوحة"^(٥)، فقد استعمل سيبويه مصطلح (الضمير) في النص الأول، ومصطلح (المضمر) في النص الثاني، واستعمل المبرّد مصطلح (المضمر) في حين استعمل ابن السراج مصطلح (المكنى) للدلالة على الضمير.

(١) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط ١، (د. ت): ٥/١، ٣٨٨/١، ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيّان الاندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: د. رجب عثمان، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م): ٩١١/٢، شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م): ٩٧/١.

(٢) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م): ٤١٤/٣.

(٣) نفسه: ٨٠/١.

(٤) المقتضب: ٢٥٤/١.

(٥) الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت: ٤١٣/١.

ويعرفونه بقولهم: "وهو الموضوع لتعيين مسماه مشعراً بتكلمه، أو خطابه، أو غيبته"^(١)، وقسموه أقساماً عدة، فهو من حيث الغيبة، والحضور يقسم إلى: ضمير متكلم نحو: (أنا، نحن)، وضمير مخاطب نحو: (أنت، أنتِ، أنتم، أنْتُنَّ)، وضمير غائب نحو: (هو، هي، هما، هم، هنَّ)، قال سيبويه: "اعلم أن المضمَر المرفوع، إذا حدث عن نفسه فإن علامته أنا، وإن حدث عن نفسه وعن آخر قال: نحنُ، وإن حدث عن نفسه وعن آخرين قال: نحنُ... وأما المضمَر المخاطب فعلامته إن كان واحداً: أنت، وإن خاطبت اثنين فعلاهما: أنتما، وإن خاطبت جميعاً فعلاهم: أنتم... وأما المضمَر المحدث عنه فعلامته: هو، وإن كان مؤنثاً فعلامته: هي، وإن حدثت عن اثنين فعلاهما: هما. وإن حدثت عن جميع فعلاهم: هم، وإن كان الجميع جميع المؤنث فعلامته: هنَّ"^(٢).

أما من حيث الظهور والخفاء، فقسموه إلى ظاهر، ومستتر، فالظاهر: هو "ما له صورة في اللفظ"^(٣)، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَنِينَ﴾ [التكوير: ٢٤]، والمستتر ما ليس له صورة في اللفظ"^(٤)، وهو قسمان: واجب الاستتار، وجائزه، فالواجب هو كل ضمير ملحوظ لا يصح أن يحل محله اسم ظاهر، نحو قولنا: (افهم درسك)، والجائز: هو كل ضمير ملحوظ يصح أن يحل محله اسم ظاهر"^(٥)، نحو: (زيدٌ يجتهدُ في الدرسِ)، ثم قسموا الضمير الظاهر من حيث الاتصال والانفصال إلى: متصل، ومنفصل، فالمنفصل: هو كل ضمير استقل بنفسه، وهو من حيث الإعراب نوعان: رفع، نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ

(١) شرح تسهيل الفوائد محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، جمال الدين، (ت: ٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م): ١٢٠/١، وينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٩٧/١.

(٢) الكتاب: ٣٥٠/٢ - ٣٥١.

(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام الانصاري (ت: ٧٦١هـ)، تح: د. محمد عز الدين السعيد، دار إحياء العلوم بيروت، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م): ٦٠.

(٤) ينظر: نفسه: ٦٠.

(٥) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١١، (١٣٨٣م): ٩٤.

[٢٤]: نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والمتصل: ما لم يستقل بنفسه^(١)، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وهو من حيث الإعراب ثلاثة: ضمير رفع، ونصب، وجر، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣]، فالواو ضمير رفع، والهاء ضمير نصب، والكاف ضمير جر.

مرجع الضمير:

إنَّ المتتبع لأقوال النحويين في الضمائر يجد أكثر اختلافهم في مرجع ضمير الغائب، وأقل منه في المخاطب، ويكاد أن يكون معدوماً في المتكلم، ويمكن وضع تفسير لذلك الاختلاف على وفق مقولاتهم .

إذ يعدُّ النحويون الضمير من المعارف^(٢)، واختلفوا في الضمير العائد على النكرة، فمنهم من عدّه نكرة مطلقاً، ومنهم من عدّه معرفة مطلقاً، ومنهم من ذهب إلى القول: إنَّ الضمير العائد على النكرة الواجبة التكرير نكرة، والعائد على الجائزة التكرير معرفة^(٣)، وذهبوا إلى القول: إنَّ الضمائر تتباين في درجة التعريف، جاء في المقتضب: " فأخص المعارف بعد ما لا يقع عليه القول إضمار المُنكَلَم نحو أنا والتاء في فعلت والتاء في غلامي وضربتني لِأَنَّهُ لَا يَشْرِكُهُ فِي هَذَا أَحَدٌ فَيَكُونُ لِبَسَا وَقَدْ يَكُونُ بِحَضْرَتِهِ أَثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمَا الْمُخَاطَبُ؟"^(٤)، فجعل ضمير الحضور أخص المعارف ولم يذكر ضمير الغيبة؛ وذلك لأنَّ ضمير الغيبة أقل درجة في التخصيص والتعريف، وقال ابن عقيل (٧٦٩هـ): "ضمير المتكلم أخص من ضمير

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك: ٨٧/١-٩٦.

(٢) ينظر: المقتضب: ٢٧٩/٤-٢٨٠، الأصول في النحو: ١٤٩/١.

(٣) ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، الإمام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م): ٧٤.

(٤) المقتضب: ٢٨١/٤.

المخاطب، وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب^(١)؛ ولذلك قالوا: إِنَّ الضمير لابد له من مُفسرٍ يعود عليه، فإن كان الضمير يعود على المتكلم، أو المخاطب؛ جعلوا الحضور هو الذي يفسره، وإن كان الضمير يعود على الغائب؛ كان لابد له من مُفسرٍ مذكور، أو مفهوم^(٢)، والقول بوجود مُفسرٍ مذكور، أو مفهوم؛ مدعاة للاختلاف في ماهية هذا المُفسر، وهذا الكلام يفسر سبب كثرة اختلافهم في عودة ضمير الغائب نسبة إلى باقي الضمائر الأخرى؛ ولذا نجد العلماء وضعوا مجموعة من القواعد التي تحد من اللبس الحاصل؛ بسبب عودة الضمير لأكثر من مرجع، من هذه القواعد على سبيل التمثيل لا الحصر^(٣):

١- لابد للضمير من مفسر يعود عليه مذكور قبله، أو مفهوم من السياق .

٢- أن يعود الضمير على أقرب مرجع له .

٣- إذا وجدت قرينة؛ فيمكن أن يعود الضمير على المرجع الأبعد .

٤- أن لا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة؛ لمنع اللبس .

إلا أن هذه القواعد قد تُخرق في بعض الأحيان، فنجد الضمير مثلاً يعود على الأبعد دون الأقرب، أو قد يعود على المتأخر لغرض ما، أو معنى لا يمكن أن يؤدي بغير تلك الطريقة . ومن وظائف الضمير في اللغة العربية أنه وسيلة من وسائل الربط بين الكلمات ، أو الجمل التي تُولف النص؛ لذلك نجد الكثير من المفسرين - ومنهم السيد الطباطبائي - الذين تعاملوا مع السورة القرآنية، أو القرآن بكونه مجموعة من النصوص مؤلف من آيات وسور، تجمعها وحدة الموضوع، وقد عناوا عناية كبيرة بالضمير وبيان المرجع الذي يعود عليه؛ لما له من أهمية كبيرة في بيان المعنى المقصود من الآية، أو السورة، إذ قد يؤدي الاختلاف في بيان مرجعه إلى اختلاف في بيان المعنى المقصود منهما، وهذا الاختلاف يتدرج بين البساطة إلى الشدة، وقد يصل إلى حد التعاكس والتضاد بين المعاني، وستقف الدراسة على بعض الأمثلة التي توضح ذلك الاختلاف.

(١) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك: ١٠٦/١ .

(٢) ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ٧٦ .

(٣) ينظر: معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، (١٤٢٨ هـ -

٢٠٠٧م): ٥٧/١ - ٥٨ .

المبحث الأول: تعدد توجيه مرجع الضمير المستتر

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَٰهَهُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَةٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ذكر السيد الطباطبائي أنّ توجيه الضمير المستتر في (أَتَمَّهُنَّ) يحتمل أمرين: الأول عودته على إبراهيم - عليه السلام -، وعلى هذا التوجيه يكون المعنى إتمامه، وإتيانه - عليه السلام - لما أريد منه، وامتناله لما أمره الله به، واجتيازه جميع الابتلاءات والامتحانات التي تؤهله لينال مقام الإمامة، إذ يرى الطباطبائي أنّ المقصود بالكلمات هنا مجموعة الابتلاءات التي مر بها إبراهيم عليه السلام .

أمّا الثاني فهو عودة الضمير على الله تعالى؛ والمعنى أَتَمَّهُنَّ، أي وفقه الله تعالى لما أريد منه، وساعده على ذلك، وهذا الأخير هو المعنى الأقرب عند السيد الطباطبائي كما يفهم من كلامه^(١)، وربما احتتمل هذا التوجيه معنى آخر لم يذكره، وهو إتمام الله تعالى وإكماله للاختبارات التي خصصها لإبراهيم - عليه السلام -؛ لينال هذا المقام، أي مقام الإمامة، وذكر مقاتل (١٥٠هـ) في تفسير الآية أنّ المقصود بالكلمات كلّ مسألة ذُكرت في القرآن ممّا سأل إبراهيم، كدعوته بجعل هذا البلد آمناً، وغيرها^(٢)، وفي معنى الكلمات خلاف يطول شرحه^(٣).

ووجّه الفراء الآية على التوجيه الأول، ولم يذكر سواه^(٤)، ويُفهم من كلام السمعاني (٤٨٩هـ)

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م): ٢٦٤/١ - ٢٦٥.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط ١، (١٤٢٣هـ): ١٣٦/١.

(٣) اختلف المفسرون في بيان ماهية الكلمات التي ابتلى الله فيها إبراهيم عليه السلام وبينهم كلام طويل في هذه المسألة من أحب الاطلاع عليه؛ فليراجع مثلاً معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء، البغوي، الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، (١٤٢٠هـ): ١٦١/١ - ١٦٨.

(٤) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٧٦/١.

الاقتصار عليه^(١)، وذكر الزمخشري أنّ الضمير يحتمل عودته على إبراهيم بمعنى قام بهنّ أحسن قيام، وأداهنّ أحسن تأدية من دون تفريط وتوان، ويحتمل عودته على الله تعالى بمعنى إعطاء الله تعالى له كل ما طلب من غير نقص^(٢).

وخلاصة ما قيل في عودة ضمير فاعل الفعل (أَتَمَّهَن) توجيهان هما:

أ- عودته على الهاء في (ربّه) العائد على إبراهيم -عليه السلام-، والمعنى أنّ الله تعالى قد ابتلى إبراهيم ببعض الابتلاءات، فلما اجتازهنّ وأتمهنّ؛ أعطاه الله تعالى مقام الإمامة، وجازاه على ذلك.

وبالعودة إلى السياق اللفظي للآيات فإنّ ما يعضّد هذا الرأي قوله تعالى: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"، إذ إنّ مقام الإمامة كان جزاءً، ومكافأةً من الله تعالى على اجتياز إبراهيم وإتمامه للاختبارات والابتلاءات الإلهية، فالآية الكريمة مقدمة تمهد للآيات اللاحقة التي تتضمن اختيار القبلة، ومكانة البيت الحرام، وتبين على سبيل الإشارة سبباً من أسباب اختيار هذا البيت كقبلة يتوجه إليها من انتسب للإسلام ديناً، فإنّ الإمامة تتطلب الإتيان، ومن الإتيان التوجه للقبلة التي اشتملت على آثار الإمام؛ بما حوته من مواقف روحية، ودينية، وتاريخية.

ب- أنّ يكون عائداً على (رب)، أي على الله تعالى، والمعنى أنّ الله تعالى قد وفق إبراهيم عليه السلام، وأيده؛ لاجتياز هذه الامتحانات، ويمكن أن يحتمل أنّ الله تعالى قد أتمّ على إبراهيم عليه السلام هذه الامتحانات الموجبة لمقام الإمامة، فهو إتمام منه تعالى بالإكمال والتوفيق، وربما قيل: إنّ هذا المقام - مقام الإمامة - هو من قبيل النعم التي أتمّها الله تعالى على إبراهيم عليه السلام.

ويبدو أنّ ما يرجح الوجه السابق على القراءة التأويلية السابقة، هو ما يرجح هذا الوجه على قراءة تأويلية أخرى، إذ إنّه يمكن أن يُقال: إنّ الله تعالى قد أتمّ لإبراهيم عليه السلام مستوى

(١) ينظر: تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي، السمعاني، التميمي، الحنفي، ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م): ١/١٣٥.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، (١٤٠٧هـ): ١/١٨٤.

يُجيزُ له الانتقال إلى المستوى الذي يليه، وهو الاختبار بالإمامة، فهي وإن كانت مقام تشريف، فلا تخلو من الاختبار، بل ما يراه الباحث أن هذا الاختبار أصعب مما سبقه من الاختبارات؛ إذ يتطلب قدرة خاصة لا تتاح إلا لمن وفقه الله، وصقل نفسه، ورباها بالصبر، واجتياز المحن. وبهذا يتساوى التوجيهان قريباً وبعداً من إمكانية القصد؛ لذا لا بد من ضابط يُحتكم إليه لتقريب المعنى المقصود ولو كان تقريباً نسبياً، ولو يُحتكم للضابط النحوي الذي قرره النحويون بالقول: إنَّ الضمير في مثل هذه الحالة يعود على أقرب مرجع له^(١)، فقد يُنتج إشكالية المرجع الأقرب إلى الضمير في هذه الآية، إذ لم يبين النحويون ماهية القرب، أهى في اللفظ أم الرتبة؟، فمرجع الضمير في الآية يحتمل أن يكون (رب)، ويحتمل أن يكون إبراهيم، إذ إنَّ الأقرب من حيث الرتبة هو (إبراهيم)؛ لأنَّه مفعول به للابتلاء، ورتبته تأتي بعد رتبة الفاعل الذي هو (رب)، والأقرب من حيث اللفظ هو (رب) الذي هو فاعل الابتلاء، ولعلَّ التقديم والتأخير الذي حدث في الآية الكريمة أدى إلى هذا الخلاف في تعيين مرجع الضمير، ولو جاءت الآية من دون تقديم وتأخير لكان مرجع ضمير الإتمام بحسب القاعدة النحوية عائداً على لفظ إبراهيم، أي على تقدير (وإذ ابتلى الله إبراهيم بكلمات فأتمهن إبراهيم)، وهنا تظهر لنا عدم دقة قوله النحويين بعودة الضمير على الأقرب من دون تعيين بالرتبة أو اللفظ.

٢- قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه عودة ضمير فاعل الفعل (أعقب) أنه عائداً على البخل أو فعلهم الذي منه البخل، ويمكن أن يعود على الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥]، واحتمل الوجهين، فيكون المعنى على التوجيه الأول: فأورثهم البخل وامتناعهم عن أداء الصدقات التي وعدوا

(١) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت: ٧٧٨ هـ)، تح: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط١ (١٤٢٨ هـ): ٥٣٩/١.

بأدائها نفاقاً يدوم لهم، ولا يفارقهم حتى موتهم، أمّا على التوجيه الثاني فالمعنى جازاهم الله تعالى النفاق في قلوبهم؛ بسبب ما صنعوا إلى يوم يلقونه^(١).

وقد ذكر القرطبي (٦٧١هـ) الوجه الثاني بقوله أعقبهم الله، و صدر الوجه الأول بقيل^(٢)، ونسب الزمخشري الوجه الأول للحسن^(٣) (١١٠هـ)، وقتادة^(٤) (١١٨هـ) - رضي الله عنهما - واختار من التوجيهات الوجه الثاني^(٥)، وذكر ابن عطية (٥٤٢هـ) عودته على الله تعالى، واحتمل عودته على البخل^(٦)، واكتفى صاحب مدارك التنزيل بالوجه الأول دون ذكر الوجه الثاني^(٧)، وذكر أبو السعود (٩٨٢هـ) الوجه الثاني، ويفهم من قوله: "أي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك"^(٨) ولم يذكر غيره.

وخلاصة ما قيل في توجيه عودة ضمير الفاعل في الفعل (أعقب):

أ- أن يعود على الله تعالى، والمعنى أعقبهم الله تعالى النفاق في قلوبهم ملازماً لهم حتى مماتهم؛ بما بخلوا.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٦١/٩ - ٣٦٢.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م): ٢١٢/٨.

(٣) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، ولد بالمدينة، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب -عليه السلام-، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، توفي فيها سنة (١١٠هـ)، وكان أبوه من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار، ينظر: الأعلام: ٢/٢٢٥-٢٢٦.

(٤) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه، كان أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية، ومفردات اللغة، وأيام العرب، والنسب، مات بواسط في الطاعون سنة (١١٨هـ)، ينظر: الأعلام: ٥/١٨٩.

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/٢٩٣.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ (١٤٢٢هـ): ٦٢/٣.

(٧) ينظر: مدارك التنزيل، وحقائق التأويل، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م): ١/٦٩٦.

(٨) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت): ٨٥/٤.

وما يرجح هذا الوجه من السياق اللفظي قوله: (بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)، فيكون النفاق جزاءً من الله لهم؛ بسبب مخالفتهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم، وبسبب كذبهم، فالباء تدل على السبب، ومجمل الوعد الذي قطعوه وكان سبباً في إتيان الله تعالى لهم الفضل يبينه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقَنَّ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥] ، فلما آتاهم الله ما طلبوا كذبوا، وبخلوا؛ فجازاهم بالنفاق نتيجة كذبهم وبخلهم ، ومعنى (أعقبهم): عاقبهم وجازاهم^(١).

ب- أن يعود على البخل، أو فعلهم الذي منه البخل، والمعنى أعقبهم البخل، أو فعلهم هذا النفاق إلى يوم يلقون جزاء هذا العمل، وهو يوم القيامة، أو يوم الممات. والذي يرجح هذا الوجه قرب المرجع من الضمير مع إمكان عودة الضمير عليه، ويرى الباحث أن مآل التوجيهين واحد، فالبخل بما أودعه الله من خصائص تحت قانون العلية؛ هو الذي أورثهم النفاق إلى يوم مماتهم، إذ إن الصفات بما تشتمل عليه من خصائص، والأعمال بما تورث من نتائج، تؤثر في سلوك الإنسان بشكل كبير، فنقض الوعد والبخل بعدما وعدوا الإنفاق ونقض ما تشارطوا عليه هو في الحقيقة تجسيد للنفاق وحكاية عنه، ولقرب البخل وصلاحيية الضمير للعودة عليه؛ يسير الباحث في ركب من رجح الوجه الثاني على الأول.

٣- قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ﴾ [عبس: ٢٣].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه ضمير الفاعل للفعل (يقضي)، أنه عائد على الإنسان، وهو الظاهر عنده بدلالة السياق، والمعنى لما أشير إلى تدبير الله تعالى لشؤون الإنسان منذ أول وجوده حتى آخر خلقه من تقدير، وتيسر وإماتة وإقبار ونشر، كله نعم من نعم الله تعالى من بها عليه فكأنه قيل: وماذا صنع هذا الإنسان؟، أشكر هذه النعم وخضع لله ؟، فكان الجواب كلا، فإنه لم يأت بما أمره الله به^(٢)، أو لم يأت به كاملاً.

(١) ينظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي (ت: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية، وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط ١، (من ١٩٧٩م - إلى ٢٠٠٠م): ٢٤٨/٧.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٢٨.

ثم ذكر بعد ذلك أنّه قيل: عائد على الله تعالى، والمعنى أنّه تعالى لما يقض لهذا الإنسان الكافر بأن يأتي بما أمره من طاعته تعالى والإيمان به، بل كان أمره إياه إتماماً للحجة عليه، وهو توجيه بعيد برأيه^(١).

ونقل القرطبي عن مجاهد (١٠٤هـ)، وقتادة لما يقض، أي لا يقضي أحد ما أمر به، وعن ابن عباس (٦٨هـ) لم يف بالميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم، وعن الحسن، أي حقاً لم يعمل بما أمر به^(٢)، وقال مقاتل بن سليمان في تفسير الآية: "لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ يَعْنِي مَا عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِ أَمْرَ الْمِيثَاقِ الْأَوَّلِ، يَعْنِي التَّوْحِيدَ"^(٣)، ويفهم من قوله أنّ الضمير عائد على الإنسان، ومثله البغوي^(٤) (٥١٠هـ)، وذكر أبو السعود أنّه لم يقض أحد من آدم - عليه السلام - وحتى يومنا هذا كل ما أمره الله به، إذ لا يخلو أحد من التقصير^(٥)، وهو ما قاله البيضاوي^(٦) (٦٥٨هـ)، وذكر الماوردي (٤٥٠هـ) في عودة الضمير وجهين: الأول عودته على الكافر إذ إنّّه لم يقض ما أمره الله به، والثاني عودته على الإنسان بالعموم، الكافر، وغير الكافر، إذ إنّّه لم يؤد كل ما أمره الله تعالى به^(٧).

وخلاصة ما قيل في توجيه الضمير ثلاثة :

١- عودته على فاعل (أنشره)، أي الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ﴾

[عبس: ٢٢]؛ فيكون المعنى وفق هذا التوجيه: إنّ الله تعالى لم يقض لهذا الكافر إتمام ما أمره به، وإنّما أمره من قبيل إتمام الحجة.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٢٨/٢٠.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٩/١٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٢/٤.

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢١١/٥.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١١١/٩.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين، أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ: ٢٨٧/٥.

(٧) ينظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، (د. ت): ٢٠٦/٦.

وهذا القول أشبه بقول الجبرية بأنَّ الإنسان مُسَيَّر لا مُخَيَّر، وهذا الرأي أضعف الآراء لما فيه من مخالفة نهج القرآن الكريم الذي صرح به في كثير من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وغيرها من الآيات، وكذلك ما فيه من نسبة قضاء مخالفة الكافر إليه تعالى، وهو مرفوض عقلاً، كما لا يخلو من مخالفة سياق الآيات القرآنية السابقة؛ إذ إنَّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرُهُ﴾ [عبس: ٢٠] على بعض التوجيهات^(١)، إشارة إلى تسهيل سلوك سبيل الحق والرشاد، وطريق الهداية والصلاح .

٢- عودته على ضمير النصب (الهاء) في (أنشده) في الآية السابقة، والذي يرجح عودة الضمير على الهاء قربه؛ فيكون عائداً على جميع البشر، والمعنى أنَّ الإنسان، أيَّ إنسان منذ آدم حتى يومنا، لم يأت بكل ما أمره الله تعالى؛ إذ لا يخلوا إنسان من النقص.

وهذا التوجيه لا يخلو من الضعف أيضاً؛ إذ إنَّ الأنبياء عليهم السلام من البشر، ومن غير المعقول نسبة مخالفة الله تعالى لهم، أمّا إذا قيل: قد ثبتت المخالفة لبعض الأنبياء؛ فنقول: وإنَّ سلمنا بالأمر، فإنَّ بعض الأنبياء لم يثبت عنهم المخالفة كالنبي عيسى مثلاً.

وهناك تفسير آخر قد يكون مقبولاً ذكره ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في عودة الضمير على كل بني البشر مستنداً فيه إلى وقوع (كلّ) صلة في الكلام^(٢)، مجمله: إنَّ الله تعالى زجر مَنْ قال: فلماذا لا تقوم القيامة بـ (كلّ)، ثم وقعت جملة (لما) تعليلاً للزجر، والمعنى هو: إنَّ الإنسان لم يقض ما أمره أي مدته على الأرض، أو الغاية التي خُلق من أجلها حتى يومنا هذا.

٣- عودته على الهاء أيضاً على أنَّ المقصود بها الكافر، والمعنى أنَّ الكافر لم يقض ما أمره الله تعالى به من أوامر، وفيه أنَّ مرجع الهاء خارجي لم يُذكر في سياق الآيات على هذا التوجيه وإنَّما يفهم ضمناً.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٢٧.

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار

التونسية للنشر - تونس (١٩٨٤هـ): ٣٠/١٢٨.

والذي يظهر للباحث من سياق الآيات، أنَّها تتحدث عن الإنسان بما هو إنسان بمفهومه العام، والمقصود جنس الإنسان، بما يحوي من طبائع العناد وكفر النعمة وإباحة المحظورات، وحب السلطة والسيطرة والامتلاك، وهذا حال السواد الأعظم فيهم؛ فيكون المعنى لما يقضي أكثرهم ما أمره الله به، وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى في بعض آياته منها قوله تعالى: ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

المبحث الثاني: تعدد توجيه مرجع الضمير الظاهر

أولاً: ضمير المخاطب :

أ- قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْغَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ ظاهر السياق في الآية الكريمة يشير إلى أنَّ الخطاب موجه للذين كفروا؛ فيكون ضمير المخاطب في قوله: (لكم)، عائد على الذين كفروا، والكلام من تنمة قول الرسول - صلى الله عليه وآله - في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]، والمعنى أنكم أيها الكافرون لو كنتم تملكون شيئاً من البصيرة؛ لاتعظتم بما رأيتم يوم بدر، وهذا الوجه هو الأنسب للسياق في نظر السيد الطباطبائي، ويمكن أن يعود الضمير على المؤمنين، والخطاب موجه لهم، إذ يدعوهم للتفكير والاعتبار بما منَّ الله عليهم في بدر، وذلك حين أيدهم بنصره بالتصرف في أبصار العيون^(١)، والتوجيه الذي لم يذكره الطباطبائي هو ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان، وهو أنَّ الخطاب موجه لليهود، والضمير عائد عليهم؛ وذلك لأنَّ اليهود من بني قينقاع أتوا النبي - صلى الله عليه وآله - بعد وقعة بدر يوعدهونه القتال^(٢).

ومذهب الزمخشري أنَّ الخطاب لمشركي قريش خاصة^(٣)، وذكر أبو حيَّان (٧٤٥هـ) التوجيهات الثلاثة، ونسب القول بعودة الخطاب على المؤمنين لابن مسعود (٣٢هـ) والحسن، والآية لتثبيت النفوس وتشجيعها، ونسب القول بعودته على اليهود للفراء وابن جرير^(٤) (٣١٠هـ).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٠٦/٣ - ١٠٧.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/١.

(٣) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٤١/١.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة (٣١٠هـ)، من كتبه: (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءاً، و(جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءاً، وغيرها، ينظر: الأعلام: ٦٩/٦ - ٧٠.

وابن الأنباري^(١) (٣٢٨هـ)، ولم ينسب القول في عودة الخطاب على الكافرين، والآية للتخويف على التوجيهين الأخيرين^(٢).

ونفهم من أقوال المفسرين أن توجيه الضمير في (لكم) يحتمل أمرين:

١- عودته على ضمير الجمع في (تحشرون) في الآية السابقة، والكلام من تنمة قول

الرسول - صلى الله عليه وآله - والخطاب فيه إمّا للكافرين، أو لليهود.

٢- عودته على المؤمنين أولوا الأبصار المذكورين في الآيات السابقة، والآية دعوة لهم

للتفكر والتدبر، وأخذ العبرة مما حصل في بدر.

والمتدبر في سياق الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية يجد أنها تتحدث عن الكافرين،

وهذا يؤيد القول برجاحة الوجه الأول، وتؤيده أيضاً على المعنى الأول قراءة نافع^(٣) (١٦٩هـ)

(تَرَوْنَهُمْ) مِنَ السَّبْعَةِ^(٤)، على توجيه من قال: إِنَّ رُؤْيَا الْمُتَلِينَ حَصَلَتْ لِلْكَافِرِينَ؛ لَأَنَّ اللَّهَ قَلَّلَ

المشركين في نظر المؤمنين على ما تذكره الآية في سورة الأنفال، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب، واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر، والأخبار، قيل إنه كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد في القرآن، ولد في الأنبار (على الفرات)، وتوفي ببغداد سنة (٣٢٨هـ)، من كتبه: (الزاهر) في اللغة، و(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)، و(إيضاح الوقف، والابتداء في كتاب الله عز وجل)، و (عجائب علوم القرآن)، و(الأضداد)، و(غريب الحديث) قيل إنه ٤٥٠٠٠ ورقة، ينظر: الأعلام: ٣٣٤/٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت (١٤٢٠هـ): ٤٤/٣-٤٥.

(٣) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني أحد القراء السبعة المشهورين أصله من أصبهان، اشتهر في المدينة، وانتهت إليه رئاسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة، وتوفي بها سنة (١٦٩هـ)، ينظر: الأعلام: ٥/٨.

(٤) ينظر: كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، تح: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ٢ (١٤٠٠هـ): ٢٠١.

يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا^ط
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿[الأنفال: ٤٤]، والقصة واحدة^(١).

ب- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ الخطاب في الآية الكريمة لعامة الناس، مؤمنين وكافرين، واستدل على ذلك بالسياق اللفظي، ودليله قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]، ثم ذكر أنه ربما قيل: إنَّ الخطاب للكفار المذكورين في الآيات السابقة^(٢)، وذكر الطبري التوجيه الأول فقال: "وَإِنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا وَارِدُ جَهَنَّمَ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ إِيرَادُهُمُوهَا قَضَاءً مَقْضِيًّا، قَدْ قَضَى ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ"^(٣)، وذكر مكي (٤٣٧هـ) الوجه الثاني^(٤)، واختلفوا في معنى الورد، فقال بعضهم: الدخول، وقال بعضهم: الدخول ولكَّنه مختص بالكافرين، وقال بعضهم: المرور عليها^(٥).

وخلاصة القول في توجيه الآية هو :

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م): ٦١/٥.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨٨/١٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م): ٥٩٠/١٥.

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمُوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة، والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م): ٤٥٧٣/٧.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٩٠-٥٩٥.

١- عودة الضمير على الناس كافة، والمعنى ما منكم أيها الناس إلا واردها، أي مار بها، أو مشرف عليها.

٢- عودته على الكافرين خاصة، والمعنى ما منكم أيها المذكورون إلا واردها، أي داخلها. والمتدبر لسياق الآيات الكريمات يجد أن الآيات السابقة تخاطب الإنسان كجنس، إذ تذكر تعجب الإنسان من خروجه بعد الموت حياً، وتوبيخه على هذا القول، ثم تعرج على قصة حشر الإنسان، وهو ما يخص جميع بني البشر، ثم تذكر الورود على جهنم، فالسياق واحد متصل بدلالاته، وهو ما يعضد الوجه الأول، ثم تتبعها الآية التي تذكر أن الله تعالى ينجي المتقين ويذر فيها الكافرين مصدراً الآية بحرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب والتراخي، مما يؤيد ما ذكرنا سابقاً.

ت- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا

كِتَابِي﴾ [الحاقة: ١٩].

ذكر السيد الطباطبائي أن ضمير (أَقْرَأُوا) خطاب للملائكة، والمعنى أن من أوتي كتابه بيمينه يقول للملائكة: اقرءوا كتابي الموجب لسعادتي^(١)، وللمفسرين في توجيه الضمير آراء أخرى، منها أن يعود على أصحابه، والمعنى أن الرجل إذا أوتي كتابه بيمينه، وغُفِرَتْ سيئاته، وضُوعِفَتْ حسناته، يُقال له: انطلق إلى أصحابك، فبشرهم وأخبرهم بهذا^(٢)، ومنها: إن الخطاب يعود على كل من يلقاه، والمعنى أن من أوتي كتابه بيمينه، يخبر كل من يلقاه من شدة فرحه وسروره^(٣)، ومنها ما ذهب إليه أهل التأويل: إن الخطاب من الملائكة الكاتبين، والمخاطب هو كل من أوتي كتابه، فيعود الضمير عليه، فيقال له: خذ اقرأ كتابك وما كتب لك وعليك^(٤).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤١٦/١٩.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَيْن المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة، ط ١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م): ٣٠/٥ - ٣١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٧١/١٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٢٩/٨.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط ١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م): ١٨٠/١٠.

وخلاصة ما ذكر من توجيه المفسرين لعودة الضمير :

١- أن يعود على الملائكة، فيكون خطاب من الذي أوتي كتابه في يمينه للملائكة أن أقرعوا كتابي الموجب لساعدي .

٢- أن يعود على أصحابه، فيذهب من أوتي كتابه، فيقول لأصحابه: خذوا فاقرءوا كتابي.

٣- أن يعود على كل من يلاقيه، فيقول لهم من شدة فرحه: خذوا، واقرءوا كتابي .

٤- أن يعود على كل من أوتي كتابه، والخطاب من الملائكة الذين يسجلون الأعمال في الدنيا، فيقولون له: خذ وقرأ ما لك وما عليك.

وبالعودة إلى سياق الآية نجد أن الآية متصلة بما قبلها وما بعدها، فالآية التي قبلها تتحدث عن كل من أوتي كتابه بيمينه، والآية التي بعدها تتحدث عن سبب إتيان الكتاب باليمين، ويمكن أن تشير إلى ثقة من أوتي كتابه بيمينه بوعده الله تعالى لمن ظن في الدنيا أنه ملاقيه، وهذا الاتصال يبعد ترجيح التوجيه الأخير، ويعضد ترجيح الثاني والثالث، ويحتمل الأول.

ثانياً: ضمير الغائب:

وهو على ثلاثة أقسام: ضمير رفع، وضمير نصب، وضمير جر .

أ- ضمير الرفع :

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢].

ذكر السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية الكريمة، أنها تذكر بداية تشريع القصر في صلاة الخوف، وهي تذكر جزء هذا التشريع، ثم جاءت السنة النبوية لبيان عموم هذا التشريع،

والآية تتحدث عن إقامة الرسول - صلى الله عليه وآله - لصلاة الجماعة في حال الخوف وقت الحرب، أي الخوف من مباغطة الأعداء، والمعنى يا رسول الله، إذا صليت بالمسلمين جماعة في وقت الحرب والخوف؛ فأقسمهم طائفتين، طائفة تقيم الصلاة معك، ولتأخذ أسلحتها، وطائفة أخرى تحرس الطائفة الأولى، فإذا فرغت الأولى من الصلاة، فلتأت الطائفة الثانية للصلاة، ولتصنع مثل صنع الطائفة التي قبلها^(١)، ويفهم من ذلك أن رجوع الضمير في قوله تعالى: (وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ) يعود على الطائفة المصلية، ولم يذكر الطباطبائي غير هذا التوجيه، والمسألة خلاف بين المفسرين، وينقل هذا الخلاف الطبري في تفسيره، مجمله: إن فريقاً من المفسرين يرون أن الطائفة المأمورة بأخذ السلاح هي الطائفة المصلية مع النبي - صلى الله عليه وآله -، والآخر يرى أنها الطائفة غير المصلية، ونسب هذا القول لابن عباس^(٢) - رضي الله عنه -، وهذا التوجيه يشير إلى أن الضمير (الواو) في يأخذوا عائد على الطائفة غير المصلية، والمعنى فلتقم طائفة منهم معك إلى الصلاة، ولتأخذ الطائفة الأخرى أسلحتها من أجل حمايتهم من العدو، واختار أبو حيان عودة الضمير على الطائفة المصلية لقربه، وأضاف توجيهاً آخر نسبته إلى النحاس (٣٣٨هـ)، وهو أن يعود الضمير على كلتا الطائفتين^(٣)، والمعنى فليأخذ كل المقاتلين أسلحتهم وينقسموا طائفتين، إحداهما تصلي والأخرى تحرس. ولمناقشة ما ذكروا في توجيه عودة الضمير (الواو) في الفعل (ليأخذوا أسلحتهم)، يقف الباحث على ثلاثة توجيهات هي :

أ- أن يعود الضمير على الطائفة المصلية مع النبي، والمعنى أن ينقسم المحاربون على قسمين: قسم يصلي مع النبي - صلى الله عليه وآله -، وقسم يقوم بالحراسة، وليأخذ القسم الأول أسلحتهم معهم حذر أن ينتهز العدو الفرصة.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٦٤/٥.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٤٢/٩.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٤٩/٤.

ودليل مَنْ قال به أمران :الأول لفظي يستند إلى سياق اللفظ ، إذ رجح بعض المفسرين هذا الوجه، ودليلهم: أَنَّ الطائفة هي أقرب مرجع للضمير، والحق أَنَّ القراءة المتأنية للآية توضح أَنَّ أقرب مرجع للضمير هو ضمير الجر في (مِنْهُمْ) العائد على كلتا الطائفتين، فلا حجة فيه. الثاني دليل عقلي مجمله أَنَّ الطائفة المقصودة هي الطائفة المصلية؛ لأنَّ الطائفة الأخرى هي طائفة الحراسة، فهي طائفة حربية، وَمِنْ الطبيعي أَنْ تحمل الأسلحة؛ لأنَّ هذا الأمر مِنْ الأمور البديهة في الحرب، فلا وجه لتذكيرهم بحمل السلاح .

ب- أَنْ يعود على الطائفة غير المصلية، والمعنى لينقسموا قسمين، قسم يصلي معك وقسم آخر يأخذ أسلحته ليقوم بحراسة المصلين .

ت- أَنْ يعود على كلتا الطائفتين، والمعنى فليأخذ الجميع أسلحته، ثم ينقسموا طائفتين، إحداهما تصلي والأخرى تقوم بالحراسة.

ويمكن أَنْ يقال: إِنَّ دليل الوجهين الأخيرين مِنْ جهة اللفظ هو عطف قوله: (ليأخذوا) على قوله: (فلتقم)^(١)، ولو عاد على الطائفة المصلية لقال و(لتأخذ)؛ مراعاة للنسق مِنْ جهة، ومراعاة للفظ مِنْ جهة أخرى، فالأولى عودته على الطائفة غير المصلية، أو على الجميع، فيقال: إِنَّه عطف على المعنى، وهو جائز، إذ قدم في الأول (فلتقم) مراعاة للفظ، ثم جاء بالثاني مراعاة للمعنى، والجمع بينهما جائز، والغالب فيه تقديم مراعاة اللفظ^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطًا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. ويرى الباحث أَنَّ التوجيه الأخير هو الأقرب من وجهين: الأول: أَنْ فيه استثمار للوقت وفوات الفرصة على العدو الذي يترقبها للهجوم على المسلمين؛ إذ إِنَّ ترك السلاح مِنْ الطائفة المقاتلة، ثم حمل السلاح مِنْ الطائفة الأخرى يحتاج بعض الوقت مما يتيح للعدو الفرصة للهجوم، أمَّا الثاني: فَإِنَّ فيه الاستعداد الكامل لكلا الأمرين (الصلاة والحرب) في آن واحد، فالصلاة في حالة الخوف تأتي بالدور، وليس من المنطق ضياع الوقت في الاستعداد أثناء

(١) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨هـ/٢٠٢٠م: ٣٦٦/٢.

(٢) ينظر: الجملة العربية والمعنى: ١٠٨.

الحرب مع وجود العدو المتربص، وعليه الجميع على أتم الاستعداد لأي أمر قد يحصل في تلك الأوقات.

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ذكر السيد الطباطبائي في تفسير الآية أنّ ظاهر السياق يدل على أنّ المقصود من المخافة هي مخافة الله تعالى^(١)؛ فيكون تقدير الآية: من الذين يخافون الله، ثم أضاف: إنّ هنالك رجالاً كانوا يخافون الله أنّ يعصوا أمره، ويعصوا نبيه، ومن هؤلاء الرجال هذان الرجلان المذكوران في الآية الكريمة، وقد اختصهما الله من بينهم بأن أنعم عليهما، فهما من أولياء الله الصالحين، وهذه قرينة على المقصود بالمخافة هي مخافة الله تعالى، إذ إنّ أولياء الله الصالحين لا يخشون غيره^(٢)، ويفهم من قوله أنّ الضمير في يخافون (واو الجماعة) عائد على الذين؛ فيكون المعنى قال رجلان من الذين يخافون الله ...

وقال مقاتل بن سليمان: "قال يوشع بن نون - وهو من سبط بنيامين - وكالب بن يوقنا وهو من سبط يهوذا قال رجلان وهما الرجلان من القوم من الذين يخافون من العدو وقد أنعم الله عليهما بالإسلام"^(٣)، وذكر صاحب تفسير المنار أنّ المعنى هو من الذين يخافون الله، وقيل: يخافون الجبارين، والنعمة هي طاعته وطاعة رسوله مع خوفهم من الجبارين^(٤)، وعلى وفق هذا المعنى يكون تقدير الآية: (قال رجلان من الذين يخافون الجبارين أو يخافون العدو) . ثم نقل السيد الطباطبائي بعد ذلك قول بعض المفسرين: إنّ الضمير (الواو) في يخافون عائد على بني إسرائيل، وعائد الموصوف محذوف، والمعنى قال رجلان من الذين يخافونهم أي يخافهم بني إسرائيل، قد أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان، ويؤيد هذا الوجه القراءة التي نسبت إلى

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٦/٥.

(٢) ينظر: نفسه: ٢٩٦/٥ - ٢٩٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٦/١.

(٤) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م): ٢٧٦/٦.

ابن جبير^(١) (٩٥هـ)، وهي قراءة (يُخافون) بضم الياء والبناء للمجهول^(٢)، وعلى هذا الوجه يكون الرجلان من العمالقة الذين يخافهم بني إسرائيل، لكنَّ الله تعالى مَنَّ عليهما بنعمة الإيمان^(٣)، وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس وغيره: الرجلان يوشع وكالب ابن يوقنا، ويقال: ابن قَانِيَا، وهما مِّنَ الاثني عشر نقيباً، و(يخافون)، أي يخافون مِّنَ الجبارين، وعن قتادة: يخافون مِّنَ الله، وعن الضَّحَّاك^(٤) (١٠٥هـ): هما رجلان على دين موسى كانا في مدينة الجبارين، و(يخافون)، أي يخافون مِّنَ العمالقة لئلاَّ يطلعوا على إيمانهم؛ فيقتلونهم، وقيل: يخافون جبن بني إسرائيل وضعفهم، ثم ذكر قراءة (يُخافون) بضم الياء، وعدها دليلاً يقوي الرأي القائل بأنَّهم من غير قوم موسى^(٥)، وذكر الزمخشري أنَّهما من الذين يخافون الله ويخشونه، ويمكن أن يعود على بني إسرائيل، والعائد على الموصول محذوف، والمعنى مِّنَ الذين يخافهم بنو إسرائيل^(٦).

وخلاصة ما قيل في ضمير الجمع الواو في يخافون وجهان:

أ- إنَّه يعود على الذين، وفيه أكثر مِّنْ معنى: الأول قال رجلان من الذين يخافون الله وقد أنعم عليهم بالإيمان به وطاعته، ومخافته من دون غيره سبحانه، فهم جلدتهم ولكنَّهم ما كانوا يخافون العدو بل يخافون الله تعالى، والثاني من الذين يخافون العدو، فهم مِّن الخائفين ، لكنَّ أنعم الله عليهم بطاعته، وقيل: خائفين مِّن جبن بني إسرائيل وتخاذلهم.

(١) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله، تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وابن عمر، وكان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً، قتله الحجاج في واسط سنة (٩٥هـ)، ينظر: الأعلام: ٩٣/٣.

(٢) ينظر: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م): ٢٠٨/١.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٧/٥.

(٤) الضحَّاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم، مفسر، كان يؤدب الأطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار! وذكره ابن حبيب تحت عنوان (أشراف المعلمين وفقهاؤهم)، له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان سنة (١٠٥هـ)، الأعلام: ٢١٥/٣.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢٧/٦.

(٦) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٦٢٠/١.

وفيه أنّ من قال بهذا الوجه أقر بأنّ قوله: (أنعم الله عليهم) هي جملة إخبار، إلّا إنّ المتدبر في سياق الآيات يلحظ أنّها يمكن أن تحتل الإنشاء فتكون معترضة من باب الدعاء، وهذا ما ذكره ابن هشام (٧٦١هـ) بقوله: "فإن جملة (أنعم الله عليهما) تحتل الدعاء فتكون معترضة والإخبار فتكون صفة ثانية ويضعف من حيث المعنى أن تكون حالاً ولا يضعف في الصنعة لوصفها بالظرف"^(١)، وما يرجح هذا التوجيه قرب المرجع من الضمير.

ب- إنّّه يعود على بني إسرائيل، ويكون الضمير العائد على الموصول محذوف، والمعنى قال رجلان من الذين يخافهم بنو إسرائيل، أي من العمالقة، وقد أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان.

وما يرجح هذا الرأي في السياق أنّ في قوله: "ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون" إشارة إلى معرفة سابقة لهم بهؤلاء القوم، وما يؤيده أيضاً قراءة سعيد بن جبير - رضي الله عنه - التي استشهد بها من قال بهذا الوجه.

والذي يظهر للباحث أنّ كلا الوجهين مُحتمَل لذاته بدرجة متشابهة، إلّا ما يتعلق بقرب المرجع الذي يميل إلى ترجيح الأول على الثاني.

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

ذكر السيد الطباطبائي أنّ الضمير (هو) في قوله: (هو سمّاكم) عائد على الله تعالى، فهو الذي سمّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن، وفي هذا الكتاب، أي القرآن، وذهب إلى أنّه امتنان ثانٍ منه تعالى على المؤمنين بعد الامتنان الأول المتمثل بالاجتباء في قوله: (هو اجتباكم) ولم يذكر غير هذا الرأي^(٢)، ولعلّه بذلك يختار هذا الوجه ويبطل الوجوه الأخرى وإن لم يصرح بها.

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط ١،

(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م): ٢٥٤/٥.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤١٤/١٤ - ٤١٥.

وقد ذكر السمين الحلبي (٧٥٦هـ) أنَّ في توجيه الضمير قولين، أحدهما: إنَّه عائد على إبراهيم - عليه السلام - وهو أقرب مذكور، والثاني: إنَّه عائد على الله تعالى^(١)، واستدل أصحاب التوجيه الأول بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]. واستدل أصحاب التوجيه الثاني له بقراءة أبي^(٢) (٢١هـ)، وقد ذكر الوجهين أبو السعود في تفسيره^(٣)، وذكر القرطبي قول ابن زيد^(٤) (١٨٢هـ) والحسن: إنَّ الضمير راجع إلى إبراهيم - عليه السلام -، وذكر قول النحاس: إنَّ هذا القول مخالف لأقوال عظماء الأمة فقد روي عن ابن عباس: إنَّ الله تعالى سمَّاكم المسلمين في الكتب السماوية المتقدمة وفي القرآن، وقاله مجاهد وغيره^(٥)، أمَّا الزمخشري فقد ذكر الوجهين مصدراً الوجه الذي يقول بعودة الضمير على إبراهيم بـ (قيل)^(٦)، وضعَّف ابن عطية القول بعودته على إبراهيم - عليه السلام -، واستدل على ذلك بقوله: "ومِنْ قَبْلُ، معناه في الكتب القديمة وفي هذا، في القرآن، وهذه اللفظة تضعف قول من قال: الضمير، لإبراهيم ولا يتوجه إلَّا على تقدير محذوف من الكلام مستأنف"^(٧)، وذكر الواحدي (٤٦٨هـ) أنَّ

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د. ت): ٣١٠/٨ - ٣١١.

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر، صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعا على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ - على قلة العارفين بالكتابة في عصره - ولما أسلم كان من كتاب الوحي، أمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه، مات بالمدينة سنة (٢١هـ)، ينظر: الأعلام : ٨٢/١.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١٢٢/٦.

(٤) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، أخو أسامة، وعبد الله، وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، توفي: سنة (١٨٢هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٤٩/٨.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٢/١٢.

(٦) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٧٣/٣.

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٣٥/٤.

الضمير عائد عليه تعالى ولم يذكر غيره^(١) .

وخلاصة ما قيل في توجيه الضمير قولان :

- أ- إنه عائد على الله تعالى، والمعنى أن الله تعالى سماكم المسلمين من قبل القرآن الكريم في الكتب السماوية ، وفي هذا القرآن.
- ب- إنه يعود على إبراهيم - عليه السلام - ، والمعنى أن إبراهيم هو الذي سماكم بهذا الاسم أي المسلمين .

وبالعودة إلى سياق الآية الكريمة نجد الضمير (هو) ورد في الآية الكريمة ثلاث مرات في قوله: (هو اجتباكم، هو سماكم، هو مولاكم)، ولا خلاف في عودة الأول والثالث على الله تعالى، والجمل متناسقة ما يمكن أن يؤيد عودة الثاني عليه تعالى، ثم أن قوله تعالى: (مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا)، إشارة منه إلى تسميتهم في الكتب السابقة وفي القرآن الكريم، دلالة أخرى إلى أن التسمية من الله تعالى، إلا أن يقال: وذكر تسمية إبراهيم موجود من قبل وفي هذا، وهو ما يحتاج إلى تكلف في التقدير، ولا بأس في القول: إن أصل التسمية جاءت من قول إبراهيم - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وإن الضمير هنا أفاد التوكيد والحصر، وكأته ردّ على من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله، وأنكر أن يكون النبي من غير بني إسرائيل، فجاء الرد: إن إبراهيم - عليه السلام - هو الذي أطلق على نفسه وعلى ذريته لفظة التسليم والمسلمين، وبشر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، وإنما ذكر إبراهيم عليه السلام؛ لأن النبوة في صلبه، و انتقلت إلى بني إسرائيل عن طريقه، ثم انتقلت للنبي محمد - صلى الله عليه وآله - وهو من ولده، فهو الجامع بين العرب واليهود في النسب والله أعلم.

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م): ٢٨٢/٣.

ب - ضمير النصب :

١- قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:

٤٥].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه الضمير (الهاء) في قوله تعالى: (إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) عودته على الصلاة، وردَّ التوجيه القائل بعودته على المصدر مِنْ (استعينوا)، أي الاستعانة، وحجته في ذلك: إِنَّ هذا التوجيه ينافيه قوله تعالى: (إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)، ومعلوم أَنَّ الخشوع لا يلائم الصبر، بل يلائم الصلاة، والاستعانة متضمنة الاثنين معاً^(١)، والمعنى أَنَّ أداء الصلاة والمحافظة عليها أمر كبير لا يطيقه إِلَّا الخاشعون، والمعنى على التوجيه الثاني: إِنَّ الاستعانة بالصبر والصلاة أمر عظيم لا يطيقه إِلَّا الخاشعون .

وذهب الأخفش إلى أَنَّهَا حُمِلَتْ على الصلاة وأريد بها الاثنان معاً (الصبر والصلاة)، فهي نظير قوله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]، أي يرضوا الله ويرضوا الرسول، ويرى أَنَّ هذا إنما يجوز مع (الواو) العاطفة دون (أو)، ذلك أَنَّ (أو) لا بد لها من تعيين أحدهما من دون الآخر^(٢)، وذكر أبو حيان أَنَّ فيها سبعة توجيهات: الأول عودته على الصلاة، وقد اختار هذا التوجيه، ودليله عليه مطابقته للقاعدة التي تقول بعودة ضمير الغائب على القريب المذكور إذا لم توجد قرينة دالة على غيره، والثاني عودته على المصدر المفهوم من الفعل استعينوا أي الاستعانة، فهي نظير قوله تعالى: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَتَتَّقُوا﴾ [المائدة: ٨]، أي العدل أقرب للتقوى، ونسبه للجبلي^(٣) (٢٨٢هـ)، الثالث عودته على الإجابة للرسول - صلى الله عليه واله -، فالصبر والصلاة من الأمور التي دعا إليها الرسول، ونسبه للأخفش، الرابع عودته على العبادة

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١/١٥٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١/٨٨.

(٣) الحسين بن الفضل بن عمير البجلي، مفسر معمر، كان رأساً في معاني القرآن، أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، وأنزله واليها عبد الله بن طاهر، في دار اشتراها له (سنة ٢١٧) فأقام فيها يعلم الناس ٦٥ سنة، وتوفي فيها سنة (٢٨٢هـ)، وكان قبره بها معروفاً، ينظر: الأعلام: ٢/ ٢٥١-٢٥٢.

التي منها الصبر والصلاة، الخامس عودته على الكعبة المشرفة؛ إذ إن الأمر بالصلاة إليها، السادس عودته على كل الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل والتي تُهوا عنها في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ٤٥﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ٤٦﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٤٧﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٨﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٤٩﴾ وَأُسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ٥٠﴾ [البقرة: ٤٥-٤٩]، السابع عودته على التنبيه واكتفى بعودته على أحدهما^(١).

وإيجاز ما قيل في عودة الضمير هو:

أ- عودته على الصلاة، والمعنى أداء الصلاة والمحافظة عليها، أمر لا يطيقه إلا الخاشعون، واستدلوا على هذا الوجه بأمرين قرب الضمير من المرجع من جهة القاعدة، ومن جهت اللفظ تناسب الصلاة مع الخشوع من دون الصبر في قوله: (إلا على الخاشعين).

ب- عودته على الاستعانة، والمعنى الاستعانة بالصبر والصلاة كبيرة إلا على من خضع قلبه، فعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل (استعينوا) أي الاستعانة، وهو كثير في اللغة، من ذلك قوله تعالى: "أعدلوا هو أقرب للتقوى" أي عدلكم، وقولك لصاحب المهنة: (أتقن، فهو سبب الخير والشهرة)، أي الاتقان.

ت- عودته على إجابة النبي محمد صلى الله عليه وآله في دعوته، فهو قد دعا الناس إلى أمور كثيرة، منها الصبر والصلاة، والمعنى أن الاستجابة للرسول واتباع أوامره كبيرة إلا على الخاشعين.

ث- عودته على العبادة التي منها الصبر والصلاة، والمعنى العبادة شيء عظيم لا يقوى عليه إلا الخاشعون .

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٩٩/١.

ج- عودته على الكعبة المشرفة، والمعنى نقل القبلة من الوجهة السابقة وهي بيت المقدس إلى الكعبة أمر يستصعبه الناس إلا الخاشعين.

ح- عودته على الأوامر والنواهي التي ذكرت في الآيات السابقة، والمعنى الالتزام بها أمر عظيم إلا على الخاشعين. وهذا الرأي هو الأقرب عند الباحث، فقله: (إنها لكبيرة) بمنزلة التعليل للاستعانة، والمعنى استعينوا بالصبر والصلاة على الالتزام بأوامر الله ونواهيها، لأن الالتزام بها كبير إلا على الخاشعين.

خ- عودته على التنبيه، والأصل إنهما لكبيرتان، ثم حمل على أحدهما، والمعنى الصبر والصلاة لكبيرتان إلا على الخاشعين، وإنما عاد على الصلاة لقربها، ويذكر النحويون لعودة الضمير على لفظين من قبيل الآية أربع صور، وهي أن يعود إمّا عليهما معاً، أو على الأهم، أو على الأقرب، أو على الأشرف^(١)، وقد عاد الضمير في الآية الكريمة على الأقرب، والمقصود به كلاهما.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

ذكر الطباطبائي في تفسيره أن الضمير (ها) في (اتخذوها) عائد على الصلاة^(٢)، أي اتخذوا الصلاة هزوا بينهم، ونقل مقاتل في تفسيره أن اليهود إذا سمعوا الأذان، وقيام المسلمين إلى الصلاة قالوا: قد قاموا لا قاموا، وعند الركوع قالوا: لا ركعوا، وفي السجود كانوا يضحكون ويقولون: لا سجدوا وهم مستهزئين^(٣)، ثم ذكر الطباطبائي أن الضمير يمكن أن يعود على مصدر (ناديتم)، أي المناداة، والمقصود بالمناداة هنا الأذان قبل الصلوات المفروضة، وعلل ذلك بأن الضمير العائد على المصدر يجوز فيه التذكير والتأنيث^(٤)، والمعنى أنهم يتخذون

(١) ينظر: ليس في كلام العرب، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط٢، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م): ٣٠٤.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٨/٦.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٧/١.

(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٨/٦.

الأذان هزوا، ونقل البغوي في تفسيره عن السُّدِّي^(١) (١٢٨هـ): أَنَّ الآية نزلت في رجل نصراني في المدينة كان يقول عند سماع قول المؤذن: أشهد أَنَّ محمداً رسول الله، حُرِّقَ الكاذب، وذات ليلة كان نائماً هو وأهله فدخل خادمه بنارٍ، فتطاير شرار منها فأحرقهم، ونقل قول آخر نسبته لآخرين مجمله أَنَّ الكفار سمعوا الأذان فدخلوا على النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به مِنْ قبل... فمن أين لك صياح كصياح العير، فما أقبح من صوت وما أسمع من أمر^(٢).

وخلاصة ما ذُكر في عودة الضمير (ها) في قوله: (اتخذوها هزواً) قولان :

أ- عودته على الصلاة، والمعنى إذا قام المؤذن ببدء المسلمين إلى الصلاة اتخذ هؤلاء الصلاة هزواً ولعباً، وما يؤيد هذا الوجه قرب المرجع من الضمير، ومطابقتها من ناحية التذكير والتأنيث .

ب- عودته على المناداة أي الأذان، والمعنى إذا قام المؤذن ببدء المسلمين إلى الصلاة قاموا بالاستهزاء مِنَ الأذان والسخرية منه، واتخذوا ذلك لعباً بينهم، فعاد الضمير المؤنث على المصدر (المناداة)، والنحويون يختلفون في جواز عودة الضمير المؤنث على المصدر، فَمِنْ النحويين مَنْ ذكر أَنَّ الضمير العائد على المصدر يجب فيه الإفراد والتذكير^(٣)، وجوز هشام بن معاوية^(٤) (٢٠٩هـ) وأصحاب سيبويه التأنيث فيه نحو: زيد أظنها قائم، أي أظن الظنة، وشرط الفراء هو: أَنَّ التأنيث يكون مع الاسم المؤنث نحو: هند أظنها قائمة، والهاء للظنة^(٥)، فمن قال بعودة الضمير على المصدر سار بركب جوز تأنيث الضمير العائد على المصدر.

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة (١٢٨هـ)، ينظر: الأعلام: ٣١٧/١.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٦٥/٢.

(٣) ينظر: الكتاب: ١٢٥/١، شرح كتاب سيبويه: ٤٦٢/١-٤٦٣.

(٤) هشام بن معاوية، أَبُو عبد الله، الكوفي: نحوي، ضرير. من أهل الكوفة. من كتبه (الحدود)، و(المختصر)، و(القياس) كلها في النحو، توفي سنة (٢٠٩هـ)، ينظر: الأعلام: ٨٨/٨.

(٥) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢١١/٤.

٣- قوله تعالى: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

ذكر الطباطبائي في عودة الضمير (ها) من قوله: (رُدُّوْهَا) توجيهين مصدرًا إياهما ب (قيل)، الأول: أن يعود على الشمس، والمعنى أمر من سليمان - عليه السلام - للملائكة لرد الشمس، بعد أن غربت ليصلي صلاته في وقتها، فلمَّا رُدُّوْهَا أخذ هو وأصحابه بمسح سيقانهم وأعناقهم، وكان هذا وضوءهم، ثم صلَّوا، والثاني: عودته على الخيل أي ردوا الخيل، وبعد أن رُدَّتْ أخذ يمسح سيقانها وأعناقها، فجعلها مسبلة في سبيل الله، ذلك جزاء اشتغاله بها عن الصلاة^(١)، ونقل البغوي في تفسير الآية عن الزَّهْرِي^(٢) (١٢٤هـ) وابن كيسان^(٣) (٢٢٥هـ): "إنَّه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبًّا لها وشفقة عليها"^(٤)، وقيل: المراد بمسح السيقان والعنق ضربها بالسيف، وقطعها^(٥)، وكان نتيجة غضبه في الله؛ لأنَّها شغلته عن ذكر ربه^(٦)، ونسب البغوي هذا القول إلى ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، وأكثر المفسرين^(٧)، وجاء في تفسير المراغي (١٣٧١هـ) أن سليمان - عليه السلام - أمر بأن تعرض أمامه الخيل ليعرف قوتها لارتباطها بقوة الفرسان، فعُرضت أمامه، فقال: إنِّي ما أحببتها للدنيا ولذاتها، وإنَّما أحببتها لأمر الله، فلما غابت أمرهم بردها عليه، وأخذ يمسح سوقها وأعناقها سرورًا، وليرى إن كانت فيها عيوبٌ مخفية تمنعها من أداء مهامها^(٨).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠٤/١٧.

(٢) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، نزل الشام واستقر بها، مات بشَّعْب، آخر حدِّ الحجاز وأول حد فلسطين سنة (١٢٤هـ)، ينظر: الأعلام: ٩٧/٧.

(٣) عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم، فقيه معتزلي مفسر، توفي سنة (٢٢٥هـ)، له (تفسير) الأصول، ومناظرات مع ابن الهذيل العلاف قال ابن حجر: هو من طبقة ابن الهذيل وأقدم منه، ينظر: الأعلام: ٣/٣٢٣.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٦٨/٤.

(٥) ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ١٥٦/٣.

(٦) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠٤/١٧.

(٧) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٦٨/٤.

(٨) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١ (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م): ١١٩/٢٣.

وخلاصة ما قيل في عودة الضمير في (ردوها) توجيهان:

أ- عودته على الشمس، والمعنى أمر من سليمان - عليه السلام - للملائكة بإرجاع الشمس؛ لكي يصلي صلاته في وقتها.

ب- عودته على الخيل، والمعنى أمر من سليمان - عليه السلام - لأصحابه الذين يقودون الخيل بردها إليه.

والمتمعن في سياق الآيات يجد أن قوله: (ردوها) مرتبط بقوله: (توارت) ارتباط مطابقة أو مخالفة من حيث الفعل وفاعله، فمن وجه عودة ضمير فاعل الفعل (توارت) على الشمس فطابق بينهما؛ أعاد الضمير على الفاعل العائد على الشمس، ومن خالف بينهما؛ أعاده على الخيل، وكذلك من وجه عودة فاعل (توارت) على الخيل مطابقة أو مخالفة.

ت- ضمير الجر :

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ

يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

في الآية ضميران اختلف العلماء في توجيههما، وهما الهاء في (به)، والهاء في (موته)، أمّا الهاء الأولى فذهب السيد الطباطبائي إلى القول بعودتها على عيسى عليه السلام^(١)، والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن بعيسى قبل موته^(٢)، ثم ذكر قولاً آخر في عودته على محمد - صلى الله عليه وآله -، والمعنى وإن أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن بمحمد - صلى الله عليه وآله - قبل أن يموت ذلك الكتابي، وردّ السيد هذا الرأي ووصفه بالسخف، إذ إن المقام والسياق لا يدلان على ذكر النبي محمد - صلى الله عليه وآله - في هذه الآية، وإنما استند

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٦/٥.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٧١٩/١.

إلى بعض الروايات وهي من باب الجري^(١)، وروى البغوي هذا الرأي عن عكرمة^(٢) (١٠٥هـ)، وأضاف أنه قيل: راجع إلى الله تعالى^(٣)، والمعنى وما من كتابي، إلا ليؤمن بالله تعالى قبل أن يموت.

أما الهاء في (موته)، فذكر لها السيد الطباطبائي توجيهين، الأول: عودتها على المبتدأ المحذوف، والتقدير وإن أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن قبل موته بعيسى عليه السلام، أي إنه ليظهر لهم في ساعة احتضارهم أن عيسى رسول الله وعبد، فلا ينفعهم هذا الإيمان، فيكون - عليه السلام - شهيداً عليهم يوم القيامة^(٤)، ونسب البغوي هذا الرأي إلى كل من عكرمة، ومجاهد، والضحاك، والسدي^(٥)، ونسبه القرطبي إلى ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة^(٦)، والثاني عودته على عيسى عليه السلام، وذكر في هذا التوجيه أكثر من معنى، منها مستند على ما ورد من أخبار في بعض الروايات عن عيسى - عليه السلام - بأنه حي لم يموت، وأنه يعود آخر الزمان فيؤمن به أهل الكتاب يهوداً ونصارى، فيكون المقصود به أهل الكتاب من اليهود والنصارى في زمن نزوله دون المجموع^(٧)، ونسبه القرطبي إلى قتادة، وابن زيد، وغيرهما^(٨)، ووجه الاعتراض على هذا الرأي: أنه موجب لتخصيص عموم، فقوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب) معنى عام يشمل جميع أهل الكتاب، ولا دليل على تخصصه بطائفة من دون أخرى من جهة اللفظ، والقول بهذا الرأي خاص بطائفة منهم وهم أهل زمان نزوله عليه السلام،

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٩/٥.

(٢) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعياً، وذهب إلى نجد الحروري، فأقام ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة، وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها رأي (الصفري)، وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات سنة (١٠٥هـ)، وكانت وفاته بالمدينة هو (كثير عزة) في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس، الأعلام: ٢٤٤/٤.

(٣) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٧٢٠/١.

(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٦/٥.

(٥) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٧١٩/١.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٦.

(٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٦/٥.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١/٦.

وهذا موجب لتخصيص عموم^(١)، وقيل في الرد على هذا الاعتراض: إنّ عيسى - عليه السلام - عند نزوله سيؤمن به كل أهل الكتاب في ذلك الزمان، أمّا من لم يدرك زمان النزول فإنّه، يؤمن به قبل موته عند الاحتضار، فتأتيه الملائكة وتقول له: إنّ عيسى عبد الله ورسوله، وعند ذلك لا ينفعهم إيمانهم^(٢)، وهو قول مقاتل في تفسير الآية الكريمة^(٣)، ثم ذكر السيد الطباطبائي وجهاً آخر في عودة الضمير عدّه من الوجوه الرديئة، وهو أنّ الضمير عائد على أهل الكتاب، والمعنى أنّ جميعهم يقولون: إنّ عيسى الذي يظهر آخر الزمان نؤمن به، ونسب السيد هذا الوجه إلى الزجاج^(٤) (٥٤٣هـ)، ووجه الرداءة فيه - على رأي السيد الطباطبائي - إنّ سياق الآيات يبين دعواهم قتل عيسى - عليه السلام - والردّ على هذا الادعاء، ولا يرتبط باعترافهم بظهور مسيح في آخر الزمان، ولو كان المراد به هذا الأمر؛ لما وجدت حاجة لذكر قوله: (قبل موته)، ولا لذكر (يوم القيامة يكون عليهم شهيداً)، فيكون ما ذكر زائداً لا حاجة إلى ذكره^(٥)، وذكر الزمخشري في الكشف هذا الوجه ثم ذكر أنّه قيل: عائد على عيسى عليه السلام، وأضاف في عودة الضمير على عيسى - عليه السلام - بعد أن ذكر عودة الضميرين على عيسى - عليه السلام - جواز أن يكون المقصود جميع أهل الكتاب، إذ يحييهم الله تعالى في قبورهم وقت نزوله، فيؤمنوا به، فلا ينفعهم ذلك^(٦)، وقد وصف السيد الطباطبائي هذا القول بالغريب، وإنّه قول بالرجعة^(٧).

وخلاصة ما قيل في توجيه الضميرين في الآية الكريمة:

أ- قيل في توجيه الهاء في قوله: (به): إنّّه عائد على عيسى عليه السلام ، والمعنى

وما من أحد من أهل الكتاب - يهوديا أو نصرانيا - إلّا ليؤمن بعيسى عليه السلام

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٦/٥.

(٢) ينظر: نفسه: ١٣٧/٥.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/١.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده

شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط، ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م): ١٣٠/٢.

(٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٨/٥ - ١٣٩.

(٦) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٨٩/١.

(٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٧/٥.

قبل موت ذلك الكتابي ، أو قبل موت عيسى عليه السلام ، وقيل: إنه يعود على محمد صلى الله عليه وآله ، أي يؤمن بنبوة محمد ، وقيل: عائد على الله تعالى، والمعنى يؤمن بالله .

وسياق الآيات يتحدث عن عيسى - عليه السلام - وقصة قتله، ولا دليل من جهة اللفظ على قول: إن الآية تتحدث عن محمد - صلى الله عليه وآله - في الآيات السابقة واللاحقة، فالسياق متصل للحديث عن عيسى - عليه السلام - مما يرجح عودة الضمير عليه.

ب- قيل في توجيه الهاء في قوله: (قبل موته): عائد على عيسى -عليه السلام، والمعنى ما من أحد منهم إلا ليؤمن بعيسى قبل موته عليه السلام، وقيل: عائد على الكتابي، والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن بعيسى قبل أن يموت ذلك الكتابي.

٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

ذكر السيد الطباطبائي أن الضمير في قوله: (منهم) يحتمل عودته على اللذين اصطفينا، فيكون المعنى: الظالم والمقتصد والسابق بالخيرات شركاء في الوراثة، وإن كان السابق بالخيرات هو الوارث الحقيقي، وما يؤيد هذا الاحتمال - في نظر السيد - أن لا مانع من نسبة الوراثة لكل مع أن القائم بها بعضهم، فهو نظير قوله تعالى: "وأورثنا بني إسرائيل الكتاب"، مع أن القائم بها بعضهم، ثم ذكر أن المقابلة بين الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات تشير إلى أن المقصود من الظالم لنفسه هو الذي عليه شيء من السيئات، فهو مسلم من أهل القرآن لأنه من المصطفين الوارثين للكتاب، والمقتصد هو المتوسط الذي هو في قصد السبيل وسواء الطريق، والسابق هو المتقدم على الاثنين، ويحتمل عودته على عبادنا، وقوله تعالى: (فمنهم) تعليل والمعنى أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا من دون غيرهم؛ لأن في عبادنا من هو

ظالم، وفيهم مقتصد، وفيهم سابق بالخيرات، ولا يصلح كلهم للورثة بل بعضهم^(١)، وذكر الماوردي في تفسيره قولين، الأول: إِنَّ قوله تعالى: (منهم ظالم لنفسه) كلام مبتدأ لا يرجع الى المصطفين، ومن قال بهذا فقد جعل مقصود المصطفين بالآية الكريمة هم الأنبياء، فيكون ما عداهم ثلاثة أقسام: وهم الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، أما القول الثاني فهو عودة الضمير على المصطفين، فيكون بيان أحوالهم فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات^(٢).

خلاصة الآراء في توجيه عودة الضمير (هم) في قوله: (منهم) هي :

أ- عودته على الذين اصطفينا، والمعنى من الذين اصطفينا ظالم لنفسه، ومنهم من هو مقتصد، ومنهم من هو سابق بالخيرات .

ب- عودته على عبادنا، والجملة - منهم ظالم ... - تعليل لجملة الميراث، والمعنى أي أورثنا الكتاب بعض عبادنا وهم المصطفون، لا جميع عبادنا لأنّ منهم من هو ظالم لنفسه، ومنهم من هو مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات.

ويبدو أنّ سياق الآيات يشير إلى التقسيم، فالآيات السابقة تذكر قصة إنزال الماء ليخرج به فواكه مختلفة الألوان والأنواع، ثم تعرج إلى تقسيم الجبال بحسب ألوانها إلى بيض وحمرة وسود، ثم تشير الآيات إلى أنّ الناس والدواب والأنعام مقسمة بحسب الألوان، وتشير الآية التي بعدها إلى تقسيم العبادة فتذكر بعض هذه الأقسام وهي التلاوة والصلاة والإنفاق، ثم تقسم الإنفاق إلى إنفاق سر، وإنفاق علانية، والآية الكريمة في سياق التقسيم أيضاً، فقسمت الذين اصطفاهم الله لورثة الكتاب إلى الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، فالسياق يرجح عودة الضمير على الذين اصطفينا.

٣- قوله تعالى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ

وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس:

[٨٣].

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٥/١٧ - ٤٦ .

(٢) ينظر: النكت والعيون: ٤٧٣/٤ .

ذكر السيد الطباطبائي أنّ بعض المفسرين قالوا بعودة ضمير الغائب (الهاء) في (قومه) على فرعون، والذرية التي آمنت من قوم فرعون اتبعوا أمهاتهم في الإيمان، إذ كنّ من بني إسرائيل، أمّا آبائهم فكانوا من القبط، وقيل: هم بعض أولاد القبط، وقيل: أريد بذلك امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون، وقال آخرون بعودته على موسى والذرية هنا هم جماعة من بني إسرائيل، وهم الذين تعلموا السحر، وصاروا من أصحاب فرعون، وقيل: هم بنو إسرائيل عددهم ستمائة ألف وسماهم ذرية لضعفهم، وقيل: ذرية بني إسرائيل الذين بُعث إليهم موسى، وقد هلكوا بطول العهد، والراجح عند السيد الطباطبائي بحسب السياق عودة الضمير على موسى، والمراد بالذرية هم من قوم موسى، وهم بعض الضعفاء من بني إسرائيل من دون الشرفاء والأقوياء^(١).

وذكر البغوي في تفسيره اختلاف العلماء في عودة الضمير، فمنهم من قال بعودته على موسى، والذرية هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى، هلك الآباء وبقي الأبناء، قاله مجاهد^(٢)، وذهب آخرون إلى القول بعودته على فرعون، وقد روي عن ابن عباس: "هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه، وماشطته"^(٣)، وذهب الزمخشري إلى أنّ الذرية هم طائفة من ذراري بني إسرائيل، وكأنّه قيل: فما آمن لموسى إلا أولاد من أولاد قومه، وقد دعا الآباء ولم يؤمنوا له خوفاً من فرعون وآمن له الأبناء، ثم ذكر الوجه الآخر القائل بعودة الضمير إلى فرعون مصدراً إياه بـ (قيل)^(٤).

وخلاصة ما قيل في عودة الضمير (هـ) في قوله: (من قومه) (وجهان:

أ- عودته على موسى - عليه السلام - والمعنى فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، وهم المستضعفون.

ب- عودته على فرعون، والمعنى فما آمن لموسى إلا طائفة من ذرية آل فرعون.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ١٠٦/١٠.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٤٣٠/٢.

(٣) نفسه: ٤٣٠/٢.

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٦٣/٢.

وسياق الآية يرجح الأول على الثاني بوصفه المرجع الأقرب للضمير، أمّا في قوله: (فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) فإنّ أريد بالمأ الحاشية، ففيه إشارة إلى العامة من قوم فرعون، أو المستضعفين عامة، وإنّ أريد بالمأ سادة بني إسرائيل، فيكون المعنى: إنّ الذرية مع خوفهم من فرعون خائفين من السادة من بني إسرائيل؛ لأنّهم كانوا لا يؤمنون، أو لأنّهم كانوا يتقربون إلى فرعون بذلك، وإلى هذا المعنى أشار الطباطبائي في تفسير (المأ)^(١)، وهو ما يرجح عودة الضمير على موسى؛ وإنّ الذرية المستضعفة من قوم موسى.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٠/١٠٧.

الفصل الثاني: المعنى وتعدد التوجيه

في الاسم الظاهر

- تعدد التوجيه النحوي في الاسم الظاهر.
- المبحث الأول: تعدد التوجيه بسبب العلامة الإعرابية:
 - أولاً: الاتفاق في العلامة الإعرابية.
 - ثانياً: نتيجة غياب العلامة الإعرابية.
- المبحث الثاني: تعدد التوجيه نتيجة الصيغة:
 - أولاً: اتفاق الصيغة مع تعدد الوظائف النحوية للاسم الواحد.
 - ثانياً: الاشتراك في الصيغة والاختلاف في المعنى

تعدد التوجيه النحوي في الاسم الظاهر:

تتميز الأسماء الظاهرة بتعدد وظائفها النحوية التي ينتج عنها معانٍ مختلفة، كالفاعلية والمفعولية وغيرها، إذ إنّ لكل وظيفة نحوية لاسم ما داخل تركيب الجملة معنىً خاصاً به، لا يمكن أن يتضمّن خارج التركيب، وهذه المعاني بدورها تتعاقد مع المعاني المعجمية للكلمات؛ لتنتج المعنى العام للتركيب أو الجملة داخل النص، فالمعنى يمثل الحصلة النهائية لعلاقات الكلمات داخل التركيب.

وتوجد في اللغة العربية العلامات الإعرابية التي تعد دلالة على الوظيفة النحوية للكلمات، وهي التي سماها بعض النحويين وجوه الإعراب^(١) وسماها آخرون حركات الإعراب^(٢)، وإلى ذلك أشار الزمخشري في المفصل في كلامه عن وجوه إعراب الاسم، حيث عدّها ثلاثة وجوه، وهي الرفع، والنصب، والجر، إذ يمثل الرفع علامة الفاعلية، وما رفع غير الفاعل فقد ألحق به، أمّا النصب فهو علامة المفعولية، وما نصب غير المفعول فقد ألحق به، أمّا الجر فعلمة الإضافة^(٣)، وقد جعلت الحركات الإعرابية دلالة على وجوه الإعراب، فكانت الضمة أو ما ينوب عنها علامة الرفع، والفتحة أو ما ينوب عنها علامة النصب، والكسرة أو ما ينوب عنها علامة الجر، وما يلاحظ على هذا الكلام، كثرة الوظائف النحوية نسبة إلى وجوه الإعراب وعلاماته، مما يؤدي إلى اشتراك أكثر من وظيفة نحوية في وجه إعرابي واحد، فمثلاً نلاحظ أنّ المبتدأ والخبر والفاعل ونائبه واسم كان وخبر إنّ وتابع المرفوع اشتركوا في الرفع، مما ينتج عنه اشتراكهم في العلامة الإعرابية نفسها، وهي الضمة أو ما ينوب عنها، وكذلك النصب والجر، يضاف إلى ذلك وجود بعض الكلمات التي تغيب عنها علامة الإعراب لأسباب مختلفة، كأن تكون هذه الكلمات مبنية أو منتهية بحرف علة لا يقبل علامة الإعراب، أو وجود كلمات تمتاز بسعة الاستعمال الوظيفي في اللغة العربية، إذ يمكن أن تستعمل في أكثر من أسلوب من دون تغيير شكل هذه الكلمات أو هيأتها، كاستعمال (ما) مثلاً في أسلوب الاستفهام،

(١) ينظر: المقتضب: ٢٠٧/٤.

(٢) ينظر: الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الرّجّاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تح: الدكتور مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط ٥، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م): ٦٩.

(٣) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧.

والنفي، والشرط، والتعجب، و...، مما يؤدي إلى احتمال أكثر من أسلوب للجملة الواحدة؛ بسبب اشتراك هذه الأساليب في الكلمات نفسها، وقد نجد في العربية بعض الكلمات التي تشترك في الصيغة الصرفية إلا أنها تختلف في المعنى والاشتقاق الذي جاءت منه، كاشتراك صيغة (فعل) بين الصفة المشبهة وصيغة المبالغة، أو التباس (أفعل) التفضيل بالفعل الماضي عند غياب حركة آخره، وهذا يؤدي إلى الالتباس في الوظيفة النحوية للكلمة داخل التركيب؛ ولذلك حاول النحويون - قدماء ومحدثين - وضع بعض القواعد التي تعين على تحديد الوظيفة النحوية للكلمة داخل التركيب منعاً للبس، إيماناً منهم بأن الاختلاف الوظيفي لكلمة ما داخل التركيب يؤدي إلى اختلاف في محصلة الجملة أو النص كاملاً، وهو اختلاف في معنى الجملة أو النص، ومع وجود هذه القواعد إلا أننا نلاحظ علماء الإعراب كثيراً ما يختلفون في إعراب كلمة ما داخل تركيب معين، وبالأخص في كتب إعراب القرآن.

ولم يقف هذا الاختلاف عند معربي القرآن فقط، بل شاع كثيراً في أوساط المفسرين، فأخذ بعضهم يبين موارد هذا الاختلاف والمعاني الناتجة عنه، مرجحاً وجهاً من دون غيره من الوجوه، أو محتملاً لأكثر من وجه، وأخذ بعضهم الآخر في بيان ما تحتمله بعض الآيات الكريمة من وجوه التفسير مرجحاً وجهاً من دون آخر، أو محتملاً أكثر من وجه، من دون الوقوف على الاختلاف في وجوه الإعراب، الذي هو أهم أسباب الاختلاف في وجوه المعنى، وستقف الدراسة على مجموعة من الأمثلة التي توضح أثر الاختلاف في توجيه إعراب الأسماء على المعنى في الآيات القرآنية الكريمة في هذا الفصل.

المبحث الأول: تعدد التوجيه بسبب العلامة الإعرابية

أولاً: الاتفاق في العلامة الإعرابية:

١- الرفع:

أ- قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ إعراب كلمة (شهر) في الآية الكريمة تحتل أكثر من وجه، منها: أن تعرب خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير (هي شهر رمضان)، والمبتدأ عائد على قوله: (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) في الآية السابقة، والمعنى كتب عليكم الصيام، أي صيام أيام معدودات وهي شهر رمضان، أو مبتدأ لخبر محذوف، وتقدير الكلام: (شهر رمضان هو الذي كتب عليكم صيامه)، أو بدل من الصيام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وهو بدل ايضاح، والمعنى كُتِبَ عليكم صيام أيام معدوداتٍ، أي شهر رمضان^(١).

وقد ذكر السيد وجهاً آخر للإعراب في معرض الرد على مَنْ قال: إِنَّ الأَيَّامَ المعدودات المقصودة في الآية الكريمة هي ثلاثة أيام مِنْ كل شهر ويوم عاشوراء، ثُمَّ نُسخَتْ بقوله: (شهر رمضان...)، وإنَّ الوجه القائل بإعراب (شهر) مبتدأ خبره قوله: (الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) لا يصلح أن يدل على نسخ ما قبلها لعدم المنافاة بينها وبين سابقاتها، والنسخ مشروط بالتنافي^(٢). وقد تعددت توجيهات الرفع في كتب إعراب القرآن، فذكر النحّاس لها أكثر من وجه، منها الرفع بالابتداء، والخبر قوله: (الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)، وجوز أن يكون (شهر) مرفوعاً على أن

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٦-٥/٢.

(٢) ينظر: نفسه: ١١-١٠/٢.

يكون خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: (المفترض عليكم صومه شهر رمضان، أو ذلك شهر رمضان، أو الصوم، أو الأيام)^(١).

وذكر العكبري في التبيان (٦١٦هـ) أنَّ في رفع شهر رمضان وجهين، الأول: أنَّ تعرب خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: (هي شهر رمضان) عائد على (الأيام المَعْدُودَاتِ)؛ فيعرب (الَّذِي أُنْزِلَ) نعتاً للشهر أو لرمضان، والثاني: أنَّ تعرب كلمة (شهر) مبتدأ خبره (الَّذِي أُنْزِلَ)، أو مبتدأ خبره جملة (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)، فيكون إعراب قوله: (الذي أُنْزِلَ) صفة^(٢).

أمَّا في كتب التفسير فقد ذكر الزمخشري فيه ثلاثة أوجه للرفع هي: ارتفاعه على أنَّه مبتدأ خبره (الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)، أو على أنَّه بدل من الصيام في قوله: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)، أو على أنَّه خبر لمبتدأ محذوف^(٣).

وخلاصة التوجيهات في إعراب (شهر رمضان) بالرفع:

١- أنَّ تعرب خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير (هي شهر رمضان) عائد على الأيام، أو على تقدير (المفترض عليكم صومه شهر رمضان أو ذلك شهر رمضان أو الصوم أو الأيام).

٢- أنَّ تعرب مبتدأ خبره محذوف، والتقدير (شهر رمضان هو الذي كتب عليكم صيامه).

٣- أنَّ تعرب مبتدأ خبره (الذي أنزل فيه القرآن)، أو خبره (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ).

٤- الثالث أنَّ تعرب بدلاً من الصيام في قوله: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ).

ويظهر للباحث أنَّ التوجيه الثاني هو الأقرب بحسب السياق، فالآية الكريمة هي بيان وتوضيح للأيام المعدودات التي ذكرت في الآية السابقة، وتحديد لوقت الصيام الذي ذكر في الآية التي قبلها.

(١) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٩٦/١.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، تح: علي

محمد البجاوي، (د. ت): ١٥٢/١.

(٣) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢٢٧/١.

ب- قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه (مقام إبراهيم) أنه مبتدأ لخبر محذوف والتقدير فيه مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحجر الذي عليه أثر قدمي إبراهيم، والمعنى أن أول بيت وضع للناس هو هذا البيت الذي في مكة، فيه آيات بينات وفيه مقام إبراهيم - عليه السلام - وهو موضع قيامه بعبادة الله تعالى، وذكر جواز أن يكون التقدير (هي مقام إبراهيم والأمن والحج) وعلى هذا التقدير يكون إعراب (مقام إبراهيم) خبراً لمبتدأ محذوف، والمعنى هذه الآيات البينات هي مقام إبراهيم والأمن والحج.

وردّ السيد الوجه القائل بأنّ (مقام إبراهيم) بدل من (آيات) أو عطف بيان، فهو وإن كان يرى أن الآيات البينات لفظ مبهم بيانه قوله: (مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)، لكن لا كما يرى بعض المفسرين بأنها بدل أو عطف بيان من (آيات) لحاجة الكلام إلى عائد بحسب التقدير كقولنا: هي مقام إبراهيم، والأمن لمن دخله، والحج لمن استطاع، وهذا يوجب إرجاع قوله: (ومن دخله...) - خبراً أو إنشاء - إلى المفرد ومثله إرجاع الجملة الإنشائية إلى خبرية في قوله: "ولله على الناس حج البيت" ثم تأولها إلى مفرد أو بتقدير أن، وهو مما لا يساعد عليه الكلام، فإن كان ولا بد فالأولى جعل (مقام إبراهيم) بدلاً، والجملتين التاليتين مستأنفتين، والتقدير فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن الداخل وحج المستطيع^(١).

وقد تناولت كتب إعراب القرآن هذه الوجوه مع اختلاف في التقدير، فذهب النحّاس إلى القول بثلاثة توجيهات لرفع (مقام إبراهيم)، الأول نسبه إلى الأخفش على تقدير (منها مقام

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٠٣/٣-٤٠٥.

إبراهيم) أي من هذه الآيات ، فيعرب مبتدأ لخبر محذوف^(١)، واستشهد له بقول زهير بن أبي سلمى^(٢): (البسيط)

لَهَا مَتَاعٌ وَأَعْوَانٌ غَدُونَ لَهَا قَتَبٌ وَغَرَبٌ إِذَا مَا أُفْرِغَ انْسَحَقَا

والثاني نسبه إلى المبرد (٢٨٥هـ)، ينص على إعرابها بدلاً، والثالث على تقدير (هي مقام إبراهيم) أي خبر لمبتدأ محذوف^(٣)، وتابعه العكبري في ذلك^(٤)، واكتفى الصافي (١٣٧٦هـ) بإعرابه بدل اشتغال من آيات^(٥).

أما كتب التفسير فلم تختلف في توجيهاتها عما ذكر إلا قول الزمخشري الذي عدّ (مقام إبراهيم) عطف بيان لقوله: (آياتٌ بيّنات)^(٦)، وقد ردّ عليه أبو حيان بالقول بعدم جواز التخالف في عطف البيان؛ إذ إنّ (آيات) نكرة، و(مقام إبراهيم) معرفة، فقوله مخالف لإجماع الكوفيين والبصريين، فحكم عطف البيان حكم النعت عند الكوفيين وأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ)، فنتبع النكرة النكرة، والمعرفة المعرفة، أما البصريون فلم يجوزوا النكرة فلا يجوز عندهم إلا أن يكونا معرفتين، فإن كانا نكرتين أعربوه بدلاً، والأولى أن يعرب (مقام إبراهيم) خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير (أحدها) أي أحد تلك الآيات، أو مبتدأ محذوف الخبر على تقدير (منها)^(٧).

وخلاصة ما ذكر في توجيه إعراب (مقام إبراهيم) بالرفع أربعة توجيهات :

- ١- أن تعرب مبتدأ خبره محذوف على تقدير (فيه مقام إبراهيم)، أي في البيت الكريم مقام إبراهيم على نية التشريف والتكريم له عليه السلام، أو على تقدير (منها مقام إبراهيم)، أي من هذه الآيات مقام إبراهيم، وأمن الداخل، وحج من استطاع.

(١) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١٧٢/١.

(٢) الشاهد لزهير بن أبي سلمى، وفي الديوان (غدون به)، ديوان زهير بن أبي سلمى، علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، (١٩٨٨م): ٧٤.

(٣) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١٧٢/١.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٠/١.

(٥) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، (١٤١٨هـ): ٢٥٣/٤.

(٦) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٨٧/١.

(٧) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٧٢/٣.

٢- أن تعرب خبراً لمبتدأ محذوف على تقدير (هي مقام إبراهيم)، فتكون جملة مفسرة وموضحة للآيات، أي هذه الآيات هي مقام إبراهيم وأمن الداخل و ... ، أو على تقدير (أحدها مقام إبراهيم)، أي أحد تلك الآيات مقام إبراهيم، وأمن الداخل، و ...

٣- أن تعرب بدلاً من (آيات) وهو بدل كل من كل أو بدل اشتغال.

٤- أن تعرب عطف بيان، وفيه: إنَّ البصريين لا يجوزون عطف البيان إلاَّ إنَّ كان التابع والمتبوع معرفة، والكوفيين يجيزونه مطلقاً بشرط عدم التخالف بينهما^(١)، والقول: إنَّه عطف بيان مخالف لأقوال الكوفيين والبصريين.

ويميل الباحث إلى الوجه الثاني، إذ إنَّ الجملة على اختلاف التقدير فيها بيان وتفصيل بعد إجمال، إذ توضح مع ما بعدها مقصود الآيات في الآية الكريمة.

ت- قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ كلمة (الرحمن) في الآية الكريمة خبر لمبتدأ محذوف والتقدير (هو الرحمن)، والمعنى هو الرحمن الذي استوى على عرش الملك، وبرحمته يقوم الخلق، وبه يبدأ كل شيء، وإليه يرجع، وهو الخبير الذي يخبرك بحقيقة الأمر فاسأله.

وهذا الوجه هو المختار عند السيد بحسب ما يعطيه السياق ويهدي إليه النظم برأيه، ثم ذكر مجموعة من الأوجه التي يراها لا تلائم ما يعطيه السياق في الآية الكريمة، ومنها: إنَّ (الرحمن) مرفوع على القطع للمدح - وهذا هو الوجه السابق بعينه -، ومنها: إنَّه مبتدأ خبره قوله: (فاسأل به)، والمعنى وفق هذا التوجيه: أنَّ أسأل الرحمن عن نفسه فهو الخبير بذاته، أو خبر والمبتدأ قوله: (الذي) في صدر الآية الكريمة، والمعنى أنَّ الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما ثم استوى على عرش الملك الرحمن فاسأل عنه خبيراً، أو بدل من فاعل (استوى)^(٢)، والمعنى أنَّ الذي استوى على العرش هو الرحمن، و قد ذكر النحاس في رفع كلمة (الرحمن) ثلاثة أوجه دون أنَّ يفضل بينها، وهذه الأوجه هي الرفع على أنَّها بدل من فاعل (استوى)، أو

(١) ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٣/ ٣٢٦.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٥/ ٢٣٢.

الرفع على القطع والتقدير (هو الرحمن)، أو الرفع على الابتداء وخبره قوله: (فاسأل)، ولم يذكر الوجه القائل برفع (الرحمن) على أنه خبر والمبتدأ قوله: (الذي) في صدر الآية^(١).

وذكر الألوسي (١٢٧٠هـ) في تفسير الآية أن (الرحمن) مرفوع على المدح والتقدير: (هو الرحمن)، وهو في الحقيقة وصف آخر للحي، وجوز أن يكون الموصول في محل مبتدأ والرحمن خبره، أو أن يكون (الرحمن) بدلاً من المستكن في (استوى)، ويجوز أن يكون (الرحمن) مبتدأ، وقوله تعالى: "فَسْئَلُ بِهِ خَيْرًا" خبره على مذهب الأخفش^(٢)، وذكر محمود صافي في الجدول وجهاً واحداً للإعراب هو: إن (الرحمن) خبر والمبتدأ (الذي)^(٣).

وخلاصة ما ذكر في توجيه إعراب (الرحمن) أربعة أوجه هي :

١- الرفع على أنها بدل من فاعل (استوى).

٢- الرفع على الابتداء وخبره قوله: (فاسأل).

٣- الرفع على أنه خبر والمبتدأ قوله: (الذي) في صدر الآية.

٤- الرفع على القطع والتقدير (هو الرحمن) وهذا الوجه هو الأقرب بحسب ما يعطيه السياق، ويؤيد ذلك ما ذكره العلماء من أوجه الإعراب لغير الرفع كالنصب على المدح أو الجر على أنه نعت من الحي على قراءة زيد بن علي^(٤).

٢- النصب:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي

الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه إعراب كلمة (نفسه) أنها تحتل وجهين من الإعراب، إذ يرى أن الفعل (سفه) يأتي متعدياً ولزماً، فإن كان متعدياً أعربت (نفسه) مفعولاً به، وإن كان

(١) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١١٤/٣.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي

(ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، (١٤١٥هـ): ٣٨/١٠.

(٣) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم: ٣٥/١٩.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢١٦/٤.

لازماً أعربت تمييزاً^(١)، واكتفى السيد بعرض الوجهين من دون أن يرجح أحدهما على الآخر معتمداً على المعنى العام للألفاظ في تفسير الآية الكريمة إذ يقول: "والمعنى على أي حال: إن الإعراض عن ملة إبراهيم من حماقة النفس، وعدم تمييزها ما ينفعها مما يضرها"^(٢).

والآية كانت مدار جدل ونقاش طويل بين العلماء، فمنهم من أعربها مفعولاً به على تضمين الفعل (سفه) معنى فعل آخر، فذهب مقاتل إلى القول: إن معنى سفه نفسه أي خسر نفسه^(٣)، وذهب أبو عبيدة^(٤) (٢٠٩هـ) إلى أن سفه نفسه بمعنى أهلك نفسه وأوبقها^(٥)، وقال ابن كيسان^(٦) (٢٢٥هـ): هي بمعنى جهل نفسه^(٧)، ويمثله قال الزجاج^(٨)، وروى المفضل بن سلمة^(٩) (٢٩٠هـ) عن بعضهم سفه حقر نفسه^(١٠)، ومنهم من ذهب إلى القول: إن (سَفَهَ) بمعنى (سَفَّهَ) بتشديد الفاء، نسبه الأخفش إلى بعض أهل التأويل^(١١)، ونقل عن يونس (١٨٢هـ) قوله:

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٥/١.

(٢) نفسه: ٢٩٥/١.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٠/١.

(٤) معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيد النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة ولد في البصرة وتوفي فيها سنة (٢٠٩هـ)، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة (١٨٨هـ) وقرأ عليه أشياء من كتبه، من كتبه: (نقائض جرير والفرزدق) و (مجاز القرآن)، و (مآثر العرب)، وغيرها: ينظر: الأعلام، الزركلي: ٢٧٢/٧.

(٥) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، تح: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي - القاهرة، (١٣٨١هـ): ٥٦/١.

(٦) عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم. فقيه معتزلي مفسر، توفي سنة (٢٢٥هـ)، وله (تفسير) الأصول، ومناظرات مع ابن الهذيل العلاف، ينظر: الأعلام: ٣٢٣/٣.

(٧) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م): ٢٧٩/١.

(٨) معاني القرآن وإعرايه: ٢٠٩-٢١٠.

(٩) المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، لغوي، عالم بالأدب. كان من خاصة الفتح بن خاقان وزير المتوكل، توفي سنة (٢٩٠هـ)، من كتبه (البارع) في اللغة، و (الفاخر) في الأمثال و (ضياء القلوب) في معاني القرآن، وغيرها، ينظر: الأعلام: ٢٧٩/٧.

(١٠) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٧٩/١.

(١١) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٥٧/١.

إنَّها لغة فيجوز (سِفْهُتُ زَيْدًا)^(١)، وإنَّ (فَعَلَ) قد تفيد المبالغة ك (فَعَّلَ)^(٢)، ومنهم مَنْ قال: إنَّ (نفسه) منصوبة بنزع الخافض، قال الأخفش: "وهو يشبه غِبْنَ رَأْيِهِ، وَخَسِرَ نَفْسَهُ، إِلَّا أَنَّ هذا كثير، ولهذا معنى ليس لذاك، تقول: غِبْنَ في رَأْيِهِ، وَخَسِرَ في أَهْلِهِ، وَخَسِرَ في بَيْعِهِ، وقد جاء لهذا نظير، قال: ضُرِبَ عَبْدُ اللَّهِ الظَّهَرُ والبَطْنُ ومعناه: على الظهر والبطن، كما قالوا: دخلتُ البيتَ وإنَّما هو دخلتُ في البيت، وقوله: توجَّهَ مَكَّةَ والكوفةَ وإنَّما هو إلى مَكَّةَ والكوفة"^(٣)، وقال مكي في معنى الآية: "أَي في نَفْسِهِ فنصب لما حذف حرف الجر"^(٤)، ونسب أبو حَيَّان هذا القول لبعض البصريين^(٥)، وذهب الفراء إلى القول: إنَّها منصوبة على التمييز، إذ يرى أَنَّ العرب توقع سفه على (نفسه) وهي معرفة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، وهي من المعرفة كالنكرة، إذ إنَّ التمييز يقع في أكثر الكلام نكرة، وقد أشبهت قولك: (ضِقتُ به ذُرْعًا)، والأصل ضاق ذرعي به، فهو تمييز منقول عن الفاعل، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤]، ولا يجوز فيه التقديم فلا تقول: (ذرعاً ضِقتُ به)، ولا (نفسه سفه)^(٦)، وهو مخالف لرأي البصريين، إذ إنَّ التمييز عندهم لا يأتي إلا نكرة^(٧)، ومنهم من ذهب إلى القول: إنَّ نفسه توكيد لمؤكد محذوف على تقدير (سَفَّهُ قَوْلُهُ نَفْسُهُ)^(٨).

وخلاصة ما قيل في توجيه إعراب كلمة (نفسه):

- (١) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٥٧/١.
- (٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٠٩/١.
- (٣) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٥٧/١.
- (٤) مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، (١٤٠٥هـ): ١١١/١.
- (٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦٢٨ / ١.
- (٦) معاني القرآن، الفراء: ٧٩/١.
- (٧) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٧٩/١.
- (٨) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦٢٨/١.

١- أن تعرب مفعولاً به، فيكون الفعل (سفه) في هذه الحالة متعدياً إما في نفسه أو على معنى التضمين، والمعنى أن مَنْ يرغب عن ملة إبراهيم ليس إلا سفيه النفس، أو جاهلاً بها أو محقراً إياها.

٢- أن تنصب على نزع الخافض على تقدير (سفه في نفسه).

٣- الوجه الثالث أن تعرب تمييزاً منقولاً عن الفاعل على تقدير (سفهت نفسه).

٤- أن تكون توكيداً لمؤكد محذوف على تقدير (سفه قوله نفسه).

ب- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه نصب قوله: (أَمَنَةً نُّعَاسًا) أن نعاساً بدل من أمانة ويُفهم من كلامه أن أمانة تعرب مفعولاً به على قراءة الجمهور^(١)، وهي بمعنى الأمن، والمعنى أن الله تعالى أنزل عليكم الأمن أي النعاس، أما على قراءة ابن مُحِيسِن^(٢) (١٢٣هـ) بسكون الميم^(٣)، فهي جمع آمن، وتعرب حالاً من ضمير عليكم، ونعاساً مفعولاً به، والمعنى أن الله أنزل عليكم النعاس آمنين^(٤).

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مَهْرَان النيسابوري، أبو بكر (ت: ٣٨١هـ)، تح: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق (١٩٨١م): ١٧٠/١.

(٢) محمد بن عبد الرحمن ابن محيصة السهمي بالولاء، أبو حفص المكي، مقرر أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية، انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته ولم يلحقوها بالقراءات المشهورة، توفي سنة (١٢٣هـ)، ينظر: الأعلام: ١٨٩/٦.

(٣) ينظر: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ١٧٤/١.

(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٨/٤.

وللعلماء توجيهات عدة في هذه الآيات، منها، أن تعرب (أَمَنَةً) مفعول (أنزل)، فتعرب (نعاساً) بدلاً منها^(١)، وهو بدل مطابقة، والمعنى أنزل عليكم أمانة أي نعاس يغشى طائفة منكم، أو بدل اشتغال؛ لاشتغال أحدهما على الآخر^(٢)، والمعنى أنزل عليكم أمانة مشتملة على النعاس، أو عطف بيان عند غير الجمهور^(٣)، والمعنى أمانة ونعاساً، أو مفعولاً لأجله، جوزه مكي بن أبي طالب^(٤)، فيكون المعنى: أنزل عليكم أمانة لأجل النعاس وهو بعيد في المعنى، ومنها أن تعرب (نُعاساً) مفعولاً (أنزل)، فتعرب (أَمَنَةً) حالاً من (نُعاساً) مقدماً عليه؛ لأنها في الأصل صفة نكرة، فلما قُدِّمَتْ نُصِبَتْ حالاً، أي أنزل عليكم نعاساً ذا أمانة، أو حالاً من المخاطبين في (عليكم) على تقدير حَذْفِ المُضَافِ، أي: ذوي أمانة، أو أن يكونَ (أَمَنَةً) جمعَ (أَمِن) نحو: بارٌّ وبَرَّةٌ، وكافرٌ وكَفَرَةٌ، فيكون التقدير (آمنين)، أي أنزل عليكم نعاساً آمنين، أو مفعولٌ من أجله^(٥)، والمعنى أنزل عليكم نعاساً لأجل الأمن.

وخلاصة هذه التوجيهات هي:

- ١- أن تعرب (أَمَنَةً) مفعول (أنزل)، فتعرب نعاساً بدلاً منها، وهو بدل مطابقة، أو بدل اشتغال، أو عطف بيان، أو مفعولاً لأجله.
- ٢- أن تعرب (نُعاساً) مفعول (أنزل)، فتعرب (أَمَنَةً) حالاً من (نُعاساً) مقدماً عليه.
- ٣- أن تعرب (نُعاساً) مفعول (أنزل)، فتعرب (أَمَنَةً) حالاً من المخاطبين في (عليكم) على تقدير حَذْفِ المُضَافِ، أي: ذوي أمانة، أو أن يكونَ (أَمَنَةً) جمعَ (أَمِن)، فيكون التقدير (آمنين).
- ٤- أن تعرب (نُعاساً) مفعول (أنزل)، فتعرب (أَمَنَةً) مفعولاً لأجله.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٧٩/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٣٩٠/٣، إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط٤ (١٤١٥هـ): ٧٦/٢.

(٣) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٤٤٤/٣.

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ١١٥٦/٢.

(٥) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٢٨/١.

ت- قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه الآية أنَّ قوله: (المقيمين) معطوف على قوله: (الراسخون)، وقد نصب على المدح، ثم نقل اختلاف العلماء في توجيه نصب (المقيمين) عن صاحب المجمع^(١)، ومذهب يونس وسيبويه أنَّ (المقيمين) منصوب على المدح، والتقدير أعني المقيمين الصلاة، أو أمدح المقيمين الصلاة^(٢)، ومذهب الكوفيين جواز العطف على الضمير المجرور من دون إعادة الجار؛ فقوله: (المقيمين) "في موضع خفض بالعطف على الكاف في (إليك) والتقدير فيه: يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة يعني من الأنبياء عليهم السلام، ويجوز أيضاً أن يكون عطفاً على الكاف في (قبلك) والتقدير فيه: ومن قبل المقيمين الصلاة، يعني من أمثلك"^(٣)، ومذهب الكسائي هو: إنَّ (المقيمين) معطوف على (ما) في قوله: (بما أنزل إليك)^(٤)، "وقيل: هو معطوف على الهاء والميم أي منهم ومن المقيمين... [وقيل: معطوف] على قبلك ويكون المعنى: ومن قبل المقيمين ثم أقام المقيمين مقام قبل كما قال: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]"^(٥)، وخلاصة هذه الآراء هي^(٦):

- ١- أن يكون قوله: (المقيمين) منصوباً على المدح، والمعنى أمدح المقيمين الصلاة.
- ٢- أن يكون معطوفاً على (ما) في قوله: (بما أنزل...)؛ أي يؤمنون بالقرآن وبالمقيمين...، أي الملائكة، أو بدين المقيمين...، وهم المسلمون.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٤٠/٥-١٤١.

(٢) ينظر: الجمل في النحو، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، ط ٥، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م): ٨٨، الكتاب: ٦٣/٢.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، مسألة رقم (٦٥): ٣٧٩/٢.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥٠/١.

(٥) ينظر: نفسه: ٢٥٠/١.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٤٠٨/١.

٣- أن يكون معطوفاً على قبل وفي الكلام حذف، والتقدير ومن قبل المقيمين، وقد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

٤- أن يكون معطوفاً على الضمير المجرور في (قبلك).

٥- أن يكون معطوفاً على الضمير المجرور في (إليك).

٦- أن يكون معطوفاً على الضمير المجرور في (منهم).

ثانياً: غياب العلامة الإعرابية:

١- قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۚ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ ۚ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ۚ وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ ۚ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه الآية أن (ما) الأولى معطوفة على ضمير الجر في قوله: (فيهنَّ)، والكلام متصل بما قبله، والمعنى الله يفتيكم في أحكام النساء عامة ومنها يتامى النساء، فسؤالهم عن حكم النساء عامة، والآية تعرضت إلى قسم منهن - يتامى النساء - حتى يكون الجواب عاماً شاملاً لكل فئات النساء^(١)، وهذا التوجيه إنما يصح على مذهب الكوفيين، إذ يجوزون العطف على الضمير المجرور من دون إعادة الجار نحو: (مررت بك وزيد)، ومنعه البصريون^(٢)، جاء في الكتاب: "ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمير المجرور، وذلك قولك: مررت بك وزيد، وهذا أبوك وعمرو، كرهوا أن يشرك المظهر مضمراً داخلاً فيما قبله؛ لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لا يتكلم بها إلا معتمدة على ما قبلها، وأنها بدل من اللفظ بالتثوين، فصارت عندهم بمنزلة التثوين، فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم"^(٣)، فمن جوز هذا الوجه سار على مذهب الكوفيين.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٠٠/٥-١٠١.

(٢) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٢٥٢/١، ٢٩٠/١، الأصول في النحو: ١١٩/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف،

مسألة رقم (٦٥): ٣٧٩/٢.

(٣) الكتاب: ٣٨١/٢.

أمّا التوجيه الثاني الذي ذكره السيد الطباطبائي هو أن تكون (ما) معطوفة على موضع الجار والمجرور (فيهن) فهي في محل نصب، وهذا التوجيه سيراً على مذهب النحويين البصريين، والمعنى الله يبين لكم الذي يتلى في كتابه عليكم، فالمراد بالإفتاء هنا التبيين^(١)، وهذان التوجيهان أقرب التوجيهات عند السيد بحسب سياق الآية.

وقد ذكر السيد مجموعة من التوجيهات وصفها بالتعسف، منها أن تكون (ما) معطوفة على موضع لفظ الجلالة (الله) في قوله: (الله يفتيكم)، أو على الضمير المستتر في (يفتيكم)، فهي في محل رفع، والمعنى الله يفتيكم والكتاب كذلك، أو معطوفة على (النساء) في قوله: (يستفتونك في النساء)، فهي في محل جر، والمعنى يستفتونك في النساء وفي الذي يتلى في الكتاب عن يتامى النساء، فكأن السؤال سؤالان، الأول عن النساء والثاني عن حكم اليتامى منهن، أو أن تكون مبتدأ خبره قوله: (في الكتاب)، والجملة مستأنفة، والمعنى الذي يتلى عليكم في الكتاب، أو أن تكون (الواو) للقسم وجملة القسم معترضة، والمعنى يفتيكم - أقسم بالذي يتلى... - في يتاماهن^(٢).

وقد اختلف العلماء في توجيه الآية اختلافاً كبيراً، مجمله: أن بعضهم يرى أن (ما) في محل جر عطف على الضمير المجرور في قوله: (فيهن)، والتوجيه بمعنى: إن الله يفتيكم في النساء وفي الذي يتلى عليكم في كتابه، فقيل: إن المقصود من قوله: (ما يتلى ...) آيات الفرائض في أول السورة، وقيل: الآيات هي من قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] إلى آخر السورة، وقيل: يعني أول السورة وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، وقيل: نزلت الآية في قوم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - كانوا قد سألوه عن بعض الأحكام التي تخص أمر النساء، ولم يسألوا عن أحكام بعض الأمور التي كانوا يفعلونها، فأفتاهم الله فيهما جميعاً^(٣)، وذهب بعضهم الآخر إلى القول: إن ما في محل رفع، قال النحاس: "و (ما) في

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٠١/٥.

(٢) ينظر: نفسه: ١٠١/٥.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٣٠/٧ - ٥٣٢.

موضع رفع، والمعنى قل الله يفتيكم فيهن والقرآن يفتيكم فيهن والذي يفتيكم من القرآن في النساء قوله عز وجل: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ﴾ [النساء: ٣]^(١)، وقال العكبري: "في (ما) وجوه: أحدها: موضعها الجر عطفاً على الضمير المجرور بـ (في)، وعلى هذا قول الكوفيين؛ لأنهم يجيزون العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، والثاني: أن يكون في موضع نصب على معنى، ونبين لكم ما يتلى؛ لأن معنى يفتيكم: يبين لكم، والثالث: هو في موضع رفع، وهو المختار، وفي ذلك ثلاثة أوجه: أحدها: هو معطوف على ضمير الفاعل في يفتيكم، وجرى الجار والمجرور مجرى التوكيد؛ والثاني: هو معطوف على اسم الله، وهو: قل الله. والثالث: إنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: وما يتلى عليكم في الكتاب يبين لكم"^(٢)، والذي يظهر من أقوال العلماء أثر غياب علامة الإعراب في كثرة التوجيهات النحوية التي ذكرت.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرُوا لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه إعراب (ذكرى)، أنها يمكن أن تعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، والتقدير نذكركم ذكرى، ويمكن أن تعرب (ذكرى) خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير الأمر ذكرى، ويمكن أن تعرب (ذكرى) مبتدأ خبره محذوف على تقدير عليك ذكرى، واختار السيد الوجه الثاني لسبقه إلى ذهن^(٣).

وذكر الزجاج في تفسير الآية أن "ذكرى يجوز أن يكون في موضع رفع ونصب، فمن نصب، فالمعنى: ولكن ذكروهم ذكرى، ومن رفع فعلى وجهين، أحدهما ولكن عليكم أن تذكروهم، كما قال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا﴾ [الشورى: ٤٨]. وجائز أن يكون: ولكن

(١) معاني القرآن، النحاس: ٢/ ٢٠٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٣٩٣/١.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٤٦/٧.

الذي تأمرون به ذكرى^(١) فنصب (ذكرى) على المفعول المطلق، ورفعها على الابتداء أو الإخبار، فتعدد توجيه الآية؛ لغياب العلامة الإعرابية وتعدد المعنى تبعاً لذلك.

٣- قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥-٤]

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ الاسم الموصول (الذي) في محل جر صفة لـ (الوسواس الخناس)، فالوسواس الخناس، هو الذي يحدث النفس بصوت خفي، إذ إنَّ المقصود بصدور الناس نفوسهم؛ لأنها مكان إدراك الوسوسة^(٢).

وذكر العلماء في توجيه الآية أنَّ قوله: (الذي) يحتمل أكثر من توجيه، فذكر النحاس أنَّه في محل جر صفة لـ (الوسواس)، وجوز أن يعرب في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: (هو الذي يوسوس في صدور الناس)^(٣)، وذكر العكبري أنَّ الاسم الموصول يحتمل الرفع على الخبر، أو الجر على الوصف، وأضاف وجهاً آخر لما ذكر، وهو أن يحتمل النصب، فيكون منصوباً على الذم على تقدير (أذم الذي يوسوس...)، أو على الاختصاص، أي (اخص الذي يوسوس...)^(٤)، جاء في الكتاب الفريد: "وقوله: {الذي يوسوس} يجوز أن يكون في موضع جر على النعت، وأن يكون في موضع نصب على الشتم، وأن يكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ"^(٥)، وخلاصة ما جاء في توجيه الآية:

أ- أن يعرب الاسم الموصول (الذي) في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف على تقدير (هو الذي يوسوس...).

ب- أن يعرب الاسم الموصول (الذي) في محل نصب على الذم أو الاختصاص.

ت- أن يعرب الاسم الموصول (الذي) في محل جر صفة لـ (الوسواس).

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢٦١/٢.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٦٠/٢٠.

(٣) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١٩٩/٥.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٣١١/٢.

(٥) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني (ت: ٦٤٣هـ)، تح: محمد نظام الدين الفتحي، دار الزمان الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م): ٤٩٣/٦.

المبحث الثاني: تعدد التوجيه بسبب الصيغة:

أولاً: اتفاق الصيغة مع تعدد الوظائف النحوية للاسم الواحد:

يوجد في العربية بعض الكلمات التي ترد على معانٍ مختلفة من دون تغيير في هيئة تلك الكلمات أو شكلها، مِنْ هذه الكلمات (مَنْ)، إذ ترد على معانٍ مختلفة مثل: الاستفهام، والشرط، والموصولية، من دون تغيير في صيغتها أو شكلها، ومنها (ما) التي تشابه (من) في المعاني السابقة وتزيد عليها بمعانٍ أخرى مثل: النفي، والمصدرية، والتعجب، والظرفية، وغيرها، وهذه التعددية في المعاني قد تُنتج توجيهات محتملة في جملة ما، أو آية قرآنية، أو نص من النصوص، وهو ما يؤدي إلى تعدد المعنى المحتمل للجملة أو الآية أو النص الذي وردت فيه، وهذه بعض الأمثلة التي تبين ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩].

ذكر الطباطبائي أنَّ الكلام في الآية يفيد الاستفهام بداعي التأسف وتحقيق الأمر للحصول على الفاعل المرتكب للظلم، وما يؤدي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ثم ذكر أنَّ قول بعضهم: إِنَّ (مَنْ) موصولة في الآية الكريمة ليس بسديد^(١).

والذي يظهر مِنْ كلام السيد أنَّه استدل على أنَّ (مَنْ) في الآية الكريمة استفهامية بجعل قوله (سمعنا فتى...) جواب عن الاستفهام، فكأنَّه قيل: لما رجع السادة منهم، وجدوا ما صنع إبراهيم بالهتهم فقالوا: مَنْ فعل هذا بالهتنا؟، إِنَّ من فعله لمن الظالمين، فأجابوهم سمعنا فتى...، وذكر مقاتل أنَّ الذي قال: (من فعل هذا...) هو النمرود بن كنعان، ويفهم من كلامه أنَّ (مَنْ) في الآية استفهامية^(٢)، وذهب الطبري إلى أنَّ الاستفهام كان من قوم إبراهيم - أي ليس

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٠١/١٤.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤/٣.

النمرود وحده -، وإنَّ الجواب كان من الذين سمعوا قوله : ﴿وَتَأَلَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧] ^(١).

وذكر العكبري أنَّ (من) في الآية تحتل الوجهين، وعلى الوجه الأول يكون قوله: (إنَّه لمن الظالمين) استئناف، أمَّا على الوجه الثاني فيكون قوله: (من) مبتدأ، وجملة (فعل) صلته ، وجملة (إنَّه) خبر للمبتدأ ^(٢)، وذكر صاحب الكتاب الفريد الوجهين، واختار الأول، والاستفهام خرج للاستعلام والتوبيخ، والمعنى من فعل بهم هذا الفعل الشنيع؟ ^(٣)، وذكر القرطبي الوجهين فقال: "لما رجعوا من عيدهم ورأوا ما أحدث بالهتهم، قالوا على جهة البحث والإنكار: (من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين). وقيل: (من) ليس استفهاما، بل هو ابتداء وخبره (لمن الظالمين) أي فاعل هذا ظالم. والأول أصح لقوله: (سمعنا فتى يذكرهم) وهذا هو جواب من فعل هذا" ^(٤) .

وخلاصة ما قيل في توجيه (مَنْ) :

أ- أن تكون اسم استفهام، والذي يؤيد هذا الوجه ما جاء في الآية التالية وهو قول الضعفاء منهم: (قالوا سمعنا فتى يذكرهم ...)، والذي يظهر من سياق الآيات أنَّ الاستفهام للإنكار التوبيخي.

ب- أن تكون اسماً موصولاً، ويؤيد هذا الوجه مجرى القصة، إذ إنَّ الكلام قد وقع فيما بينهم، فيكون القول لتشنيع هذا الفعل، وبيان عظمة الواقعة عليهم، إذ إنَّه فعل لم يسبق بمثل له عندهم، فهم يرونه ظلم بحقهم وحق آلهتهم، أو أنَّ يكون للتوبيخ المباشر الذي يستلزم حضور المؤيخ أو مَنْ ينقل له، وهو ما لا دلالة عليه في الآية، ويبدو - وإنَّ كان هذا المعنى صحيحاً في نفسه- أنَّ التوجيه الأول أقرب لسياق الآيات؛ إذ إنَّ التوبيخ بالاستفهام أبلغ وأقوى؛ ذلك لأنَّ التوبيخ المباشر لا يحمل الحقد والعداء كما لو كان بالاستفهام التوبيخي الذي يوحي بالشدة التي تتناسب مع عداء هؤلاء القوم للنبي إبراهيم -عليه السلام- حتى وصل الأمر إلى أن يحرقوه حياً.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٥٩/١٨.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٩٢١/٢.

(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٤٩٨/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٨/١١.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] .

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه (ما) في قوله: (لَمَا) على قراءة فتح اللام والتخفيف^(١)، أنَّها موصولة في محل رفع مبتدأ، وقوله: (آتَيْتُكُمْ)، صلة، والضمير العائد على الموصول محذوف يدل عليه قوله: (مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ)، والخبر قوله: (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ)، واللام في (لَمَا) ابتدائية، والمعنى للذي آتيتكموه مِنْ كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم آمنتم به ونصرتموه، ثم ذكر جواز أن تكون (ما) شرطية، والجزاء قوله: (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ)، والمعنى مهما آتيتكم مِنْ كتاب وحكمة، ثم جاء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، وهذا الوجه هو المرجح عنده؛ لأنَّ الأشهر في لام القسم المحذوف قسمها دخولها على جواب الشرط، والمعنى فيه أكثر وضوحاً^(٢).

وقال سيبويه نقلاً عن الخليل (١٧٠هـ): "وسألته عن قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾"، فقال: ما ههنا بمنزلة الذي، ودخلتها اللام كما دخلت على إن حين قلت: والله لئن فعلت لأفعلن، واللام التي في ما كهذه التي في إن، واللام التي في الفعل كهذه

(١) اختلفوا في قراءة اللام في (لما)، فقرأ حمزة (لما) مكسورة اللام، وقرأ الباقون (لما) مفتوحة اللام، ينظر: كتاب السبعة في القراءات: ٢١٣.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٨٢/٣.

التي في الفعل هنا، ومثل هذه اللام الأولى أن إذا قلت: واللّه أن لو فعلت لفعلت. وقال^(١):
(الطويل)

فَأُقْسِمُ أَنَّ لَوْ التَّقِينَا وَأَنْتُمْ لَكَانَ لَكُمْ يَوْمَ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمٌ

فأن في لو بمنزلة اللام في ما، فأوقعت ها هنا لامين: لامٌ للأول ولامٌ للجواب، ولام الجواب هي التي يعتمد عليها القسم^(٢)، والذي يظهر من قول سيبويه أن (ما) هنا موصولة، واللام موطئة للقسم، كما نقل مكي عن قول بعضهم: إن مذهب سيبويه والخليل أنها موصولة^(٣). وذكر الزجاج الوجهين واختار الثاني^(٤)، وذكر العكبري الوجهين وأضاف في الوجه الأول جواز كون الخبر قوله: (من كتاب وحكمة)^(٥)، ومذهب الأخفش أن (ما) موصولة، واللام فيها للابتداء، فهي نحو قولك: (لزيد أفضل منك)، وما بعدها صلة، واللام في قوله: (لتؤمنن) لام القسم^(٦).

وخلاصة الآراء في توجيه (ما) :

١- أن تكون موصولة؛ فتعرب مبتدأ، وجملة (آتيتكم) صلة لها، وجملة (لتؤمنن) خبر، والعائد على الموصول محذوف، و(ما) الموصولة اسم معرفة مما يعني أن عائدها (ما آتيتكم من كتاب وحكمة وما جاء به الرسول) معروف عند المخاطبين (النبیین)، والمعنى الذي آتيتكموه (الكتاب والحكمة والرسول جاء مصداقاً بما معكم) لتؤمنن به ولتتصرنّه.

(١) البيت للمسيب بن علس، ينظر: شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المربان أبو محمد السيرافي (ت: ٣٨٥هـ)، تح: الدكتور محمد علي الريح هاشم، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م): ١٧٥/٢.

(٢) الكتاب: ١٠٨/٣.

(٣) مشكل إعراب القرآن: ١٧٦/١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٤٣٦/١.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٧٦/١.

(٦) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١/ ٢٢٥.

٢- أن تكون شرطية، وجواب الشرط جملة (لتؤمنن)، و(ما) الشرطية نكرة مما يعني أن عائدها أو بعضه غير معروف عندهم، والمعنى ما آتيتكم تعرفونه أم لا لتؤمنن به ولتتصرنه، والأول أبلغ وأقرب لسياق الآية.

٣- قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧].

ذكر السيد الطباطبائي أن قوله تعالى: (ما أكفره) هو تعجب من المبالغة في الكفر وستر الحق الصريح، فالكفر هو ستر الحق، وينطبق على إنكار الربوبية، وترك العبادة، ويؤيد هذا المعنى ما جاء في ذيل الآية من الإشارة إلى بعض جهات التدبير الربوبي المتناسبة مع الكفر بمعناه المذكور، ثم ذكر تفسير بعضهم للكفر بترك الشكر، وكفران النعمة، وهذا المعنى في نظره وإن كان صحيحاً في ذاته إلا أن المعنى الأول أنسب لسياق الآيات، ثم ذكر توجيهاً آخر مصدراً له بـ (قيل)، مفاده: إن (ما) في الآية استفهامية، وليست تعجبية، والمعنى ما هو الذي جعله كافراً؟ ، والوجه الأول أبلغ منه^(١).

وذكر مقاتل أن معنى ما أكفره أي ما الذي أكفره؟ على الاستفهام، والآية نزلت في عتبة ابن أبي لهب بن عبد المطلب^(٢)، وذكر الأخفش الوجهين^(٣)، وذهب الزجاج إلى أن التعجب يكون على جهة ما يؤمر به الآدميون، والمعنى اعجبوا أنتم من كفر الإنسان، وجوز أن يكون استفهاماً على معنى أي شيء أكفره، وذهب الزمخشري إلى القول: إن ما تعجبية ، والآية تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله^(٤).

ولم يقتصر الخلاف في الآية على المفسرين ومعربي القرآن، فكان للنحويين نصيباً منه، فقد جاء في المفصل لابن يعيش (٦٤٣هـ) في توجيه الآية أن "ما نكرة غير موصوفة في موضع رفع بالابتداء، و(أكفره) الخبر، ومعناه التعجب، أي: هو ممن يُتعجب منه، ... أي: هم

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٢٦.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٥١٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ٢/٥٦٧.

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/٧٠٣.

ممن يقال فيهم ذلك، وقيل: إِنَّ (مَا) استفهامٌ، وهو ابتداءٌ، و(أكفره) الخبرُ، أي: أي شيء حملهم على الكفر مع ما يرون من الآيات الدالة على التوحيد^(١).

وخلاصة الآراء التي قيلت هي:

أ- أن تكون (ما) دالة على التعجب، فهي نكرة تامة في محل رفع مبتدأ، وقوله: (أكفره) خبر لها، وهو يستلزم أن تكون الآية دالة على التعجب المباشر الذي يعكس حالة انفعالية آنية.

ب- أن تكون (ما) دالة على الاستفهام، فهي اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة (أكفره) خبر لها، والاستفهام في الآية الكريمة استفهام مجازي خرج لغرض التعجب وهذا الوجه أبلغ وأقرب من سابقه.

والذي يظهر للباحث أن مرجع هذا الاختلاف هو نسبة فعل التعجب إلى الله تعالى، وإن أكثر الذين تصدوا لتحليل هذه الآية حاولوا الهرب من إسناد فعل التعجب لله تعالى، إذ إن التعجب بزعمهم لا يصدر منه، قياساً على ما تطبّع به العقل البشري من أفعال؛ فوقعوا في تعقيدات التأويل الذي قد يخرج أحياناً عن المنطق اللغوي السليم، والآية الكريمة واضحة الصيغة خالية من التعقيد، والتعجب واضح فيها على كلا الوجهين، والآية خطاب يستشعر التعجب في قلوب المخاطبين.

٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

ذكر الطباطبائي أن قوله: (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) جملة استفهامية وضعت موضع مفعول (لنزعن) للدلالة على العناية بالتعيين والتمييز، والمعنى لنستخرجن من كل شيعة أشدهم تمرداً على الرحمن، وهم رؤساء القوم، وأئمة الضلال، ثم ذكر أنه قيل: لنستخرجن الأشد ثم الأشد إلى أن يحاط بهم، وهذا الوجه هو الظاهر عند السيد الطباطبائي ولم يذكر غيره^(٢).

(١) شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصل، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بدیع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م): ٤٠٤/٢.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨٨/١٤.

وللنحويين في توجيهه (أي) في الآية الكريمة نقاش طويل ينقله العكبري في التبيان^(١) مجمله: إنه قيل فيها ثلاثة توجيهات، الأول: إنها موصولة بمعنى الذي، ومذهب سيبويه أن الضمة فيها حركة بناء؛ لمخالفتها أخواتها، فهي في محل نصب مفعول به لـ (لَنَنْزِعَنَّ)، وقوله: (أشد) خبر لمبتدأ محذوف، والجملة صلة الموصول^(٢)، والتقدير أيهم هو أشد على الرحمن، ومذهب المبرد أنها مرفوعة بـ (شيعة)؛ لأنَّ معناه تَشَيَّعَ، والتقدير: لنزعه من كل فريق يَشَيَّعُ أيُّهم، وهو على هذا بمعنى الذي^(٣)، الثاني: إنها استفهامية، ومذهب الخليل أنَّ (أي) رُفِعَتْ على الحكاية، والتقدير لنزعه من كل شيعة المقول فيهم: أيُّهم أشد على الرحمن، فأى مبتدأ، خبره (أشد)، ومذهب يونس أنها رفعت على تعليق الفعل (لننزعَنَّ)^(٤)، ومذهب الكسائي والأخفش أنها رفعت على الاستئناف، والتقدير لنزعه كل شيعة^(٥)، الثالث: إنها شرطية، والتقدير: لنزعهنَّ تشيعوا أو لم يتشيعوا، أو إن تشيعوا، ومثله: لأضربن أيُّهم غضب؛ أي إن غضبوا أو لم يغضبوا، ورفعت (أي)؛ لأنَّ الشرط لا يعمل بما قبله ونسبه العكبري إلى الفراء^(٦)، ولم نعثر عليه، بل نجد له توجيهات أخرى في قوله: "وفيها وجهان من الرفع أحدهما أن تجعل الفعل مكتفياً بمن في الوقوع عليها، كما تقول: قد قتلنا من كل قوم، وأصبنا من كل طعام، ثم تستأنف أيًّا فترفعها بالذي بعدها، كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] أي ينظرون أيُّهم أقرب، ومثله ﴿يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وأمَّا الوجه، الآخر فإن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩] لنزعه من الذين تشايعوا على هذا، ينظرون بالتشايع أيُّهم أشد وأخبث، وأيُّهم أشد على الرحمن عتيا، والشيعة ويتشايعون سواء في المعنى. وفيه وجه ثالث

(١) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: ٨٧٨/٢-٨٧٩.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤٠٠/٢.

(٣) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: ٨٧٨/٢.

(٤) ينظر: الكتاب: ٣٩٩/٢-٤٠٠.

(٥) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: ٨٧٨/٢.

(٦) ينظر: نفسه: ٨٧٩/٢.

من الرفع أن تجعل (ثم لننزعن من كل شيعة) بالنداء أي لننادين (أيهم أشد على الرحمن عتيا) وليس هذا الوجه يريدون^(١).

وخلاصة هذه الآراء أن توجيه (أي) في الآية يحتمل:

أ- أن يكون اسماً موصولاً، والمعنى لننزعن الذي هو أشد، أو بمعنى لننزعن من كل فريق يَشَيِّعُ الذي هو أشد، والاسم الموصول اسم معرفة فالأشد ومن يشايعه معروف عند الله تعالى في كل وقت ومن أي طائفة كان، وهو ما دل عليه سياق الآية (كل شيعة).

ب- أن يكون اسم استفهام، والمعنى لننزعن من كل شيعة من يقال عنه: أيهم أشد، أو لننزعن من كل شيعة من هو أشد، والاستفهام طلب ينتظر جواباً، وهو ما لا يتناسب مع سياق الآيات في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَحُشِرَ نَفْسُكُمُ وَالشَّيْطَانُ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّكُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ

جِثِّيًا﴾ [مريم: ٦٨]؛ إذ إنَّ الموقف موقف تنفيذ عقوبة وليس موقف تساؤل.

ت- أن يكون اسم شرط، والمعنى أيهم أشد لننزعن، واسم الشرط اسم نكرة دال على العموم، فهو يدل على كل متشدد ومن يشايعه، وهذا المعنى وإن كان صحيحاً إلا أنه يستلزم التعقيد في التقدير.

والذي يظهر للباحث أن أقرب الوجوه هو الوجه الأول؛ إذ يخلوا من التعقيد والتقدير.

ثانياً: الاشتراك في الصيغة والاختلاف في المعنى:

قد نجد بعض الكلمات التي تتشارك الصيغة الصرفية، لكنّها تختلف في المعاني والماهيات كاشتراك صيغة (فَعِيل) بين صيغة المبالغة، والصفة المشبهة والمصدرية، وهذا يؤدي إلى احتمال الكلمة لأكثر من وظيفة نحوية، فينتج عن كل وظيفة معنى خاص في الجملة أو الآية التي ترد فيها، مما يؤدي إلى تعدد المعاني المحتملة للنص، وهذه بعض الأمثلة التي توضح ما سبق من أفكار:

١- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢].

(١) معاني القرآن، الفراء: ٤٧/١-٤٨.

ذكر السيد أنَّ أحصى يحتمل توجيهين: الأول: إنَّه فعل ماضٍ من الإحصاء بمعنى العدَّ، و(أمداً) مفعوله، والمعنى أي الحزين عدَّ أمد لبثهم، وصدر الثاني بـ (قيل) وهو: إنَّ (أحصى) اسم تفضيلٍ من الإحصاء بحذف الزوائد، و(أمداً) منصوب بفعل محذوف يدل عليه (أحصى)، وهو لا يخلو من التكلف في نظره^(١)، وذهب الزمخشري إلى القول: إنَّ (أحصى) فعل ماضٍ، والقول: إنَّه اسم تفضيل ليس بسديد؛ لأنَّ بناء (أفعل) من غير الثلاثي ليس بقياس، وما جاء على ذلك فهو شاذ، والقياس على الشاذ في القرآن ممتنع^(٢)، وقال ابن هشام: "ومن الوهم قول بعضهم في (أحصى لما لبثوا أمداً): إنَّه من الأول [أي اسم تفضيل] فإنَّ الأمد ليس مُحْصِياً بل مُحْصَى وشرط التمييز المنصوب بعد أفعل كونه فاعلاً في المعنى كـ زيد أكثر مالاً بخلاف مال زيد أكثر مال^(٣)".

وخلاصة الآراء أنَّ (أحصى):

أ- فعل ماضٍ، والمعنى لنعلم أيَّ الحزين عدَّ أمد لبثهم.

ب- اسم تفضيل، والمعنى أيَّ الحزين أكثر إحصاء لأمد لبثهم.

والذي يبدو للباحث أنَّ التوجيه الأول هو الأقرب للصحة من حيث سلامة القاعدة، والبعد عن التعقيد في التأويل.

٢- قوله تعالى: ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ الآية كلمة تهديد كررت لتوكيده، ولا يبعد أن يكون قوله: (أولى لك) خبراً لمبتدأ محذوف ضمير عائد على ما ذكر من حال هذا الإنسان من التكذيب وترك الصلاة والتولي عن الحق، والتقدير على هذا التوجيه: إنَّ هذه الحال أولى لك فأولى، ويفهم من كلامه أنَّ (أولى) اسم دال على التهديد، والمعنى أنَّها كلمة ملقاة منه تعالى طبع بها على قلب هذا الإنسان، وحرّم بها الإيمان والتقوى، وكتب عليه النار، ثم ذكر عدة توجيهات قيلت في الآية هي:

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٤٦/١٣.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٧٠٥/٢.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٩٧/٦-٢٩٨.

- أ- إِنَّ (أولى لك) اسم فعل مبني بمعنى وليك الشر بعد الشر.
- ب- إِنَّ (أولى) فعل ماضٍ بمعنى قرب فاعله ضمير مستتر عائد إلى الهلاك ، واللام مزيدة، والجملة دعاء، والمعنى أولاك الهلاك،
- ت- التأويل السابق مع اختلاف عائد الفاعل، إذ يعود على الله تعالى، والمعنى أولاك الله ما تكره، أو إِنَّ اللام ليست مزيدة، والمعنى أدناك الله مما تكره.
- ث- إِنَّ (أولى لك) بمعنى الذم، والتقدير: أولى لك من تركه، إِلَّا إِنَّهُ حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك، وصار حذفاً لا يجوز إظهاره.
- ج- إِنَّ (أولى لك) بمعنى أهلكك الله هلاكاً أقرب لك من كل هلاك وشر.
- ح- إِنَّ (أولى) أفعل التفضيل بمعنى الأحرى لك، وهي خبر لمبتدأ محذوف يقدر بحسب الكلام ، والتقدير هنا النار أولى لك ، أي أنت أحق بها وأهل لها فأولى.
- ويرى السيد أنّ هذه الوجوه ضعيفة لا تخلو من التكلف^(١)، وذكر ابن جني (٣٩٢هـ) في معنى أولى أنّها اسم دال على الدنو بمعنى دنوت من الهلكة^(٢)، ونقله أبو حيان في ارتشاف الضرب عن الأصمعي^(٣)، وقيل: إنّها دعاء على أبي جهل بمعنى وليه الهلاك وما يكره^(٤)، وذكر الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ) أنّ "أولى لك تهديد ووعد"^(٥) ونُقل عن المبرد أنّها كلمة تقال لمن همّ بالغضب^(٦)، ولم أقف عليه في كتب المبرد، وإنّما نقل المبرد في الكامل ما نصه: " فأولى

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٢٤/٢٠-١٢٥.

(٢) ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ٤: ٤٦/٣.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢٣٠١/٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٤ / ٥.

(٥) حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ)، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، (١٩٨٤م): ١٢.

(٦) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٦٩٩/٩.

لنفسى أولى لها، يقول الرجل إذا حاول شيئاً فأفلته من بعد ما كاد يصيبه: أولى له! وإذا أفلت من عزيمة قال: أولى لي!"^(١)، ويبدو أن أقرب هذه الآراء أنها كلمة تدل على الوعيد والتهديد.

٣- قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١].

ذكر الطباطبائي أن العرف هو الشعر النابت على عنق الفرس، وهو تشبيه لمتابع الأمور، فيقال: جاؤوا كعرف الفرس، أي متتابعين كمتابع عرف الفرس، ويقال: جاء القطا عرفاً، أي متتابعاً، وعلى هذا المعنى فإن (عرفاً)، في الآية الكريمة حال جامدة مؤولة بالمشتق، والتقدير والمرسلات متتابعة، ويمكن أن يكون العرف المعروف من الأمر والنهي، فتعرب (عرفاً) مفعولاً له، والتقدير والمرسلات لأجل المعروف، ومعنى الآية إقسام منه تعالى بالجماعات المرسلات من ملائكة الوحي، وقيل: الرياح المتتابعة المرسلات، وقيل: الأنبياء عليهم السلام فهم متتابعون، ويرى السيد الطباطبائي أن التوجيهين الأخيرين فيهما من الضعف والتكلف ما لا يلائم سياق الآيات^(٢).

وبالعودة إلى المعجمات فإن الكلمة تحتل المعنيين^(٣)، مما يطرح احتمالية التعدد في توجيه الآية الكريمة عند المعربين والمفسرين، فذكر الأصبهاني (٥٣٥هـ) في إعراب (عرفاً) وجهين، الأول: أن تكون بمعنى المعروف، فتعرب مفعولاً له، والثاني: أن تكون بمعنى المتتابع المأخوذ من عرف الفرس، فتعرب حالاً^(٤)، أمّا العكبري فذكر أن عرفاً مصدر بمعنى متتابعة ويعني الريح، وهي حال، ثم ذكر وجهاً آخر مصدراً له بقليل مفاده أنها للملائكة، والمعنى

(١) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط٣، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م): ٤٣/٤.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٥٩/٢٠.

(٣) ينظر: العباب الزاخر واللباب الفاخر، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (ت: ٦٥٠هـ): ٤٧٤/١، مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م): ٢٠٦.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتوراة فائزة بنت عمر المؤيد، من دون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م): ٤٩٣.

بالعرف أو للعرف^(١)، ويفهم من التوجيه الثاني الذي ذكره العكبري أنّ (عرفاً) منصوبة على نزع الخافض أو المفعول لأجله، وهو ما ذكره صاحب الكتاب الفريد في إعراب الآية^(٢)، أمّا المفسرون فقد تعددت أقوالهم في المقصود بهذه المرسلات وتعددت تبعاً لذلك أقوالهم في (عرفاً)، جمعها صاحب اللباب لا تخرج عمّا ذكرنا خلاصتها^(٣):

أ- أن تعرب مفعولاً لأجله، أي: لأجل العرف، وهو ضد النكر، فإنّ الملائكة إن كانوا بعثوا للرحمة، فالمعنى فيه ظاهر، وإن كانوا بعثوا للعذاب فذلك العذاب وإن لم يكن معروفاً للكفار فإنّه معروف للأنبياء والمؤمنين، والمراد بالمرسلات، إمّا الملائكة، وإمّا الأنبياء، وإمّا الرياح، أي: والملائكة المرسلات، أو والأنبياء المرسلين، أو والرياح المرسلات، و(العرف) المعروف، والإحسان.

ب- أن ينتصب على الحال بمعنى متتابعة، من قولهم: جاؤوا كعرف الفرس، وهم على فلان كعرف الضبع، إذا تألبوا عليه، فيكون مصدراً، كأنه قيل: والمرسلات إرسالاً، أي متتابعة.

ت- أن ينتصب على إسقاط الخافض، أي: المرسلات بالعرف.

والذي يبدو من سياق الآيات أنّ التوجيه الثاني هو الأقرب، فالآيات التالية تذكر وجوه الأقسام التي أقسم بها الله تعالى، ومنها الرياح والملائكة وغيرها، وعلى أيّ توجيه في معنى العرف، في الآية، فالأنسب التتابع في المرسل رياحاً كانت أم ملائكة أم أنبياء.

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٢٦٢/٢.

(٢) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣٠٦/٦.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٦٠/٢٠.

الفصل الثالث : المعنى وتعدد التوجيه في شبه الجملة.

- مفهوم شبه الجملة وأقسامها وسبب التسمية
- تعلق شبه الجملة ودوره في تعدد المعنى
- المبحث الأول: تعدد التوجيه في الجار والمجرور.
- المبحث الثاني: تعدد التوجيه في الظرف:
- أولاً: ظرف الزمان.
- ثانياً: ظرف المكان.

مفهوم شبه الجملة وأقسامها وسبب التسمية:

لم يكن استعمال مصطلح شبه الجملة بمعنى الظرف والجار الأصلي مع مجروره شائعاً عند أوائل النحويين، إذ كان البصريون يطلقون مصطلح الظرف ليدل على ظرف الزمان والمكان^(١)، وقد يتوسعون في معنى الظرف ليشمل الجار والمجرور، قال سيبويه: "فجميع ما يكون ظرفاً تلغيه إن شئت، لأنه لا يكون آخرًا إلا على ما كان عليه أولاً قبل الظرف، ويكون موضع الخبر دون الاسم، فجرى في أحد الوجهين مجرى ما لا يستغنى عليه السكوت، كقولك: فيك زيدٌ راغبٌ فرغبته فيه"^(٢)، فمثل للظرف بالجار والمجرور، وتابعه في ذلك المبرد^(٣)، أما الكوفيون فكانوا يسمون الظرف والجار والمجرور باسم المحل، ومنهم من يسميه الصفة^(٤).

ويبدو أنَّ أول مَنْ استعمل هذا المصطلح هو ابن السراج (٣١٦هـ)^(٥)، إذ استعمله في كلامه على العلم المنقول على الحكاية، فقسّم ما يحكى من الكلم على ثلاثة أقسام، الأول: أن يكون جملة، والثاني أن يشبه الجملة، والثالث: أن يكون اسماً مثني أو مجموعاً على حد التنثية، وبيّن أنَّ ما يشبه الجملة هو بعض لها، وهو ليس اسماً مفرداً ولا مضافاً، ولا فيه ألف، ولا مبنيّاً مع اسم، ولا حرف معنّى مفرداً، وما يشبه الجملة عنده خمسة أنواع، أولها: الاسم الموصول نحو رجل سمّيته: (خيراً منك)، فنقول: (رأيت خيراً منك)، والثاني: الاسم الموصوف إن سميت رجلاً: (زيدٌ العاقلُ)، فنقول: (هذا زيدٌ العاقلُ)، والثالث: الحرف مع الاسم، وذلك إذا سميت إنساناً (كزید)، والرابع: الحرف مع الحرف وذلك نحو: (إنّما وكأثماً)، والخامس: الفعل مع الحرف وذلك نحو: (هلمّ) إذا سميت به حكيمته، وإنّ أخليته من الفاعل^(٦)، والذي يتضح من كلام ابن السراج عمّا يشبه الجملة، أنَّ ما يجمع هذه الأنواع كونها تركيباً افتقر للإسناد فلا

(١) ينظر: تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة، محمود عبد حمد اللّامي، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل كلية التربية، إعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م): ٨.

(٢) الكتاب: ٩١/٢.

(٣) ينظر: المقتضب: ٣٥٤/٢.

(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة رقم (٦): ٤٤/١.

(٥) ينظر: شبه الجملة في النحو العربي مفهومها وأهميتها في السياق، (بحث)، د. سعد محمد الكردي، مجلة التراث العربي، العدد ١٢٨، (٢٠١٢م): ٥٨.

(٦) ينظر: الأصول في النحو: ١٠٤/٢ - ١٠٥.

يؤدي معنى تاماً إلا ما خرج في تمثيله للنوع الخامس بالفعل مع الحرف، فقد مثل له باسم الفعل (هَلَمْ) وهو جملة تامة المعنى، وكان الأولى أن يكون من القسم الأول، وبذلك نجد أن ابن السراج قد استعمل مصطلح شبه الجملة بمفهوم أوسع مما هو عليه اليوم.

واستعمل الرضي الأستراباذي (٦٨٦هـ) مصطلح شبه الجملة ليدل به على ما تضمن معنى الفعل وهي المشتقات كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة وغيرها^(١).

ويبدو أن أول من استعمل مصطلح شبه الجملة بمعنى الظرف والجار والمجرور هو ابن مالك^(٢) (٦٧٢هـ) في حديثه عن الاسم الموصول إذ قال: "الموصول من الأسماء: ما لزمه عائد وجملة أو شبهها"^(٣)، ثم بين سبب ذكر شبه الجملة بكونها تنبيهاً على أن الصلة قد تكون غير الجملة الصريحة ومثل لها بقوله: "الذي عندك غير الذي في نفس المنطلق أبوه"^(٤)، وقد ذكر شبه الجملة في الألفية بقوله^(٥): (الرجز)

وجملة أو شبهها الذي وصل به كَمَنْ عِنْدِي الذي ابنه كَفَل

ثم شاع استعمال شبه الجملة بمعنى الجار الأصلي مع مجروره، والظرف بنوعيه الزماني والمكاني عند شراح الألفية، قال ابن عقيل: "ونعني بشبه الجملة الظرف والجار والمجرور"^(٦)، وبهذا المعنى استعملها باقي شراح الألفية حتى أصبح مصطلح شبه الجملة يطلق على: (الجار والمجرور، والظرف).

أما (الجار والمجرور) فيُراد به حرف الجر الأصلي مع مجروره، وهو مركب غير إسنادي متكون من جزأين، إذ يمثل حرف الجر الجزء الأول منه، ويمثل الاسم المجرور الجزء

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي، محمد بن حسن الزيات (ت: ٦٨٦هـ)، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢، (١٩٩٦م): ٦٤/٢، شبه الجملة في النحو العربي عند القدماء والمحدثين، أ.م. د عقيل رحيم علي، (بحث)، مجلة التراث العلمي العربي، العدد (٤٢)، (٢٠١٩م): ١٤٦ - ١٤٧

(٢) ينظر: شبه الجملة في النحو العربي، (رسالة ماجستير)، عبد الإله إبراهيم عبدالله، جامعة بغداد، كلية الآداب، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م): ٣٦-٣٩، شبه الجملة في النحو العربي عند القدماء والمحدثين: ١٥١.

(٣) شرح الكافية الشافية: ٢٥٢/١.

(٤) نفسه: ٢٥٣/١.

(٥) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك: ١٥٣/١.

(٦) نفسه: ١٥٤/١.

الثاني، وسميت حروف الجر بهذا الاسم "إمّا لأنها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء، أي توصلها إليها، فيكون المراد من الجر المعنى المصدري، ومن ثم سماها الكوفيون حروف الإضافة^(١)؛ لأنها تضيف معاني الأفعال أي توصلها إلى الأسماء، وإمّا لأنها تعمل الجر فيكون المراد بالجر الإعراب المخصوص كما في قولهم حروف النصب وحروف الجزم"^(٢)، وقد أخرج منها ما لم يكن أصيلاً في الجر، كحرف الجر الزائد نحو قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، والشبيه بالزائد كـ (ربّ)، و(لعلّ) على لغة من يجر بها نحو قول الشاعر^(٣):

(الطويل)

فقلتُ ادعُ أخرى وارفع الصوتَ جهرةً
لعلّ أبي المغوار منك قريبُ

و(لولا) في قول من قال: لولاي ولولاك، وزاد الأخفش وابن عصفور (٦٦٩هـ) كاف التشبيه في نحو قولنا: (زيد كعمر)^(٤).

ويبدو أنّ المقصود من هذا التركيب هو الاسم المجرور، وإنّما عمل الحروف ايصال معنى الاسم بما قبله، ولذلك سميت بحروف الإضافة، جاء في شرح ابن يعيش: "اعلم أنّ هذه الحروف تسمى حروف الإضافة لأنّها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها"^(٥)، فهو يرى أنّ هذه الحروف أدوات تستخدمها الأفعال للوصول إلى الأسماء، فإنّ الأفعال نوعان، منها ما يكون قوياً، فيصل بنفسه للمفعول به، فينصبه نحو قولك: (ضربتُ عمراً)، ومنها ما هو ضعيف يحتاج إلى واسطة للوصول إلى المفعول نحو قولك: (مررتُ بعمر)^(٦)، ولذلك جاز

(١) لم يقتصر مصطلح (حروف الإضافة) على نحوي الكوفة بل شاع عند أوائل النحويين عامة، ينظر: الكتاب: ٤٩٦/٣، المقتضب: ٣٢١/٢، ٢٨٠/٣.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م): ٣٠٢/٢.

(٣) البيت لشاعر عُقيل وهو كعب بن سعد الغنوي، شرح شواهد المغني، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيّل وتعليقات: الشيخ محمد محمود ابن التلاميذ التركي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م): ٦٩١/٢.

(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣٠٥-٣١٤.

(٥) شرح المفصل: ٧/٨.

(٦) ينظر: نفسه: ٨/٨.

عندهم العطف على الجار والمجرور بالنصب، فقالوا: معطوفاً على المحل نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، والظاهر مِنْ أقوالهم أَنَّ أهمية حرف الجر لا تقتصر على كونه صلة للحدث بما بعده من الأسماء، بل لها وظيفة دلالية مهمة تسهم بشكل كبير في بناء معنى الجملة التي تكون فيها، فلكل حرف معنى ودلالة ووظيفة تختلف عن معنى ودلالة ووظيفة الحرف الآخر.

أما مصطلح الظرف فـ "هو ما ضُمّن من اسم وقت أو مكان معنى في باطراد"^(١) فُقيدت هذه الأسماء عندهم بتضمنها (في) معنى لا لفظاً، وربما ذكروا (في) دون غيرها؛ لأنّ أشهر معانيها الظرفية، قال سيبويه: "باب ما ينتصب من الأماكن والوقت؛ لأنّها ظروف تقع فيها الأشياء، وتكون فيها، فانتصب لأنّه موقعٌ فيها ومكون فيها، وعَمِلَ فيها ما قبلها، كما أنّ العِلْمَ إذا قلت أنت الرجلُ علماً عَمِلَ فيه ما قبله، وكما عَمِلَ في الدرهم عشرون إذا قلت: عشرون درهماً. وكذلك يَعْمَلُ فيها ما بعدها وما قبلها"^(٢)، فجعل هذه الأسماء كالأوعية التي تحيط بالحدث زماناً أو مكاناً، فهي متضمنة له مشتملة عليه.

وقسموا هذه الظروف على قسمين، فمنها ما شملت زمان وقوع الحدث فسميت بظرف الزمان، ومنها ما شملت مكان وقوعه فسميت ظروف المكان^(٣)، فهي متعلقة به تابعة له، ثمّ قسموا كل واحد منهما إلى مختص، ومبهم.

فالمختص من الزمان ما دل على زمنٍ محدّدٍ معلومٍ، وهو المعروف بالعلمية، كـ(صمْتُ رمضان)، و(اعتكفْتُ يومَ الجمعة)، أو بـ(ال)، كـ(سرتُ اليومَ)، و(أقمتُ العامَ)، أو بالإضافة، كـ(جئتُ زمانَ الشتاءِ، ويومَ قدومِ زيدٍ)، أو معلومٍ، وهو النكرة، نحو: (سرتُ يوماً، أو يومين، أو أسبوعاً، أو وقتاً طويلاً)، والمبهم من الزمان ما دل على زمن غير محدد كـ (حين ومدة ووقت)، فتقول: (سرت حيناً، ومدة ووقتاً).

(١) شرح تسهيل الفوائد: ٢/٢٠٠، ينظر: الأصول في النحو: ١/١٩٠، ١/١٩٧.

(٢) الكتاب: ١/٤٠٩٣-٤٠٤٤.

(٣) ينظر: نفسه: ١/٤٠٣-٤١٩.

والمختص من المكان كل ما له صورة وحدود محصورة، نحو: الدار، والمسجد، والبلد، أما المبهم ما ليس كذلك نحو الجهات الست، وهي: (أمام، ووراء، ويمين، وشمال، وفوق، وتحت)، وما شابهها في الشياخ ك(ناحية، ومكان، وجانب)، والمقادير ك (فرسخ، وبريد، وغلوة)، تقول: (جلستُ أمامك، وناحية المسجد، وسرتُ فرسخاً).

وظرف الزمان بنوعيه المختص والمبهم قابل للنصب على الظرفية، وشرط نصب ظرف المكان أن يكون مبهماً أو مصوغاً من مادة الفعل العامل فيه نحو قولك: (رمى مرمى زيد، وذهبت مذهب عمرو)^(١)

وقيل في تسمية الجار الأصلي مع مجروره والظرف بشبه الجملة أسبابٌ عدٌ من أهمها^(٢):

- ١- شبهها بالجملة من ناحية التركيب، فهي مركبة من كلمتين أو أكثر لفظاً أو تقديرًا.
- ٢- تحملها للضمير المستتر عند تعلقها بالكون المحذوف.
- ٣- وقوعها موقع الجمل، والاستغناء بها عن ذكر الجمل كوقوعهما موقع الجملة في صلة الموصول.
- ٤- تؤدي معنى ناقصاً، فكأنهما جملة ناقصة أو شبه جملة .

تعلق شبه الجملة ودوره في تعدد المعنى:

يذكر النحويون أن شبه الجملة تفيد توضيح الحدث وتخصيصه، فهي تؤدي معنى إضافياً يُضاف إلى معنى الحدث، وهذا المعنى يحدد زمان الحدث أو مكانه أو مدة زمان الحدث ومقداره أو عدد أزمنة حدوثه أو أمكنتها^(٣) أو الطريقة التي حدث بها الحدث؛ إذ لا بد لشبه الجملة من ارتباط بحدث ما، وهذا الارتباط هو ما يسمى بالتعلق. وقد بين النحويون أن

(١) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (ت: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م): ١ / ٤٨٧-٤٨٨.

(٢) ينظر: تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة: ١٢، شبه الجملة - دراسة تركيبية تحليلية- مع أمثلة نموذجية من القرآن الكريم، أبو طالب الطيب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر كلية العلوم الإسلامية، (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م): ٦-٧.

(٣) ينظر: معاني النحو: ١٥٧/٢.

هذا الارتباط أو التعلق على نوعين، الأول: أن تتعلق شبه الجملة بحدث عام وهو ما يسميه النحويون بالكون العام أو المستقر نحو قولك: (زيدٌ عندك، وزيدٌ في الدارِ)، فالمتعلق هنا دلٌّ على وجود عام، ويختلفون في تقديره، فمنهم مَنْ يُقدِّرُ فعلاً؛ فيُقدَّرُ (كان) التامة والتقدير: (زيدٌ كانَ عندك، و كانَ في الدارِ)، أو يقدر الفعل (استقرَّ)؛ فيقول: (زيدٌ استقرَّ عندك، واستقرَّ في الدارِ)، ومنهم مَنْ يقدر اسماً تضمن معنى الفعل؛ فيقدر (كائنٌ أو مستقرٌّ)؛ فيقول: (زيدٌ كائنٌ عندك، وكائنٌ في الدارِ، وزيدٌ مستقرٌّ عندك، ومستقرٌّ في الدارِ)، ومنهم من يجيز الاسمية والفعلية إلا في الصلة^(١).

ويرى النحويون أن حكم هذا المتعلق وجوب الحذف، أمّا موقعه الإعرابي فقد يقع خبراً كما في الأمثلة السابقة، وقد يقع صفة كقولك: (مررتُ برجلٍ عندك أو في الدارِ)، وقد يقع حالاً كقولك: (مررتُ بزيدٍ عندك أو في الدارِ)، وقد يقع صلة للموصول نحو قولك: (جاءَ الذي عندك أو في الدارِ)^(٢)، أمّا النوع الثاني فهو أن تتعلق شبه الجملة بحدث خاص وهو ما يسميه النحويون بالكون الخاص نحو قولك: (زيدٌ نام عندك أو في الدارِ)، فقد تعلقت شبه الجملة (عندك، في الدارِ) بحدث خاص لا يدل على العموم وهو النوم، وهو العامل في شبه الجملة عندهم، وهذا النوع من المتعلق لا يجوز حذفه إلا إن دلَّ عليه دليل، ويسمى هذا النوع من شبه الجملة عند النحويين بالملغى أو اللغو^(٣).

أمّا دور التعلق في تعدد المعنى فقد سبق ذكر أن شبه الجملة تؤدي معنى إضافياً يضاف إلى معنى الحدث، وهذا المعنى الإضافي يُزيد في إيضاح المعنى الأصلي للحدث، وأن شبه الجملة لا بد لها من أن تتعلق بحدث ما، وهذا الحدث هو العامل في شبه الجملة، لكنّا قد نجد في بعض الجمل تعدد العوامل التي تصلح أن تتعلق بها شبه الجملة، وإنّ هذا التعدد في التعلق يطرح احتمالات متعددة للمعنى، مما يؤدي إلى تعدد المعنى للجملة الواحدة أو النص أو الآية الكريمة التي يوجد فيها أكثر من عامل يصلح لتعلق شبه الجملة فيه، مثال ذلك ما نجده

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك: ٢١١/١.

(٢) ينظر: الأصول في النحو: ٦٣/١، شرح الرضي على الكافية: ٢٤٣/١-٢٤٤، ٩/٣-١٠، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢١٣/١.

(٣) ينظر: حاشية النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط١٥، (د.ت): ٣٨٥/١.

في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، فإنَّ شبه الجملة (على استحياء) قد تتعلق بالفعل تمشي، فتكون حالاً من فاعل الفعل، والمعنى أنها تمشي مستحيّة، وقد تتعلق بالفعل (قالت)، والمعنى أن قولها كان على حياء قال الرازي: "قوله: (على استحياء) في موضع الحال أي مستحيية، ... ومنهم من يقف على تمشي، ثم يبتدئ فيقول: على استحياء قالت: إنَّ أبي يدعوك يعني أنها على الاستحياء قالت هذا القول"^(١)، وهذا يبين أهمية تعلق شبه الجملة والدور الذي يؤديه في تعدد المعنى وسنقف فيما يأتي على بعض الأمثلة التي توضح ذلك .

(١) مفاتيح الغيب المسمى بـ (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ): ٥٩٠/٢٤.

المبحث الأول: تعدد التوجيه في الجار والمجرور

إنّ لتعدد التوجيه في الجار والمجرور أثراً كبيراً في تعدد معاني الآيات الكريمة، وستقف الدراسة على بعض الأمثلة لتوضيح ذلك :

١- قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

التوجيه الظاهر عند السيد الطباطبائي أنّ شبه الجملة (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) معطوفة على الناس، والتقدير ولتجدنهم أحرص من الذين أشركوا^(١)، وفي عطف شبه الجملة (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) على (الناس)، مخالفة للنسق، إذ لا يصح عطف المتغايرين^(٢)، إلا أن يُقال بتضمن معنى (مِن) في أحرص الناس، فهو عطف على المعنى على تقدير (مِن)، أي (لتجدنهم أحرص من الناس ومن الذين أشركوا)^(٣)، قال الفراء: "وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا معناه والله أعلم: وأحرص من الذين أشركوا على الحياة. ومثله أن تقول: هذا أسخى الناس ومن هرم. لأن التأويل للأول هو أسخى من الناس ومن هرم"^(٤)، وبمثله قال الطبري^(٥)، وذكر أبو حيان أنّ قوله: (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) "يجوز أن يكون مُتَّصِلاً داخلاً تحت أَفْعَلِ التَّنْصِيلِ، فيكون ذلك من الحمل على المعنى، لأنَّ معنى أَحْرَصَ النَّاسِ: أَحْرَصُ مِنَ النَّاسِ، ويحتمل أن يكون ذلك من باب الحذف، أي وَأَحْرَصُ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، فَحُذِفَ أَحْرَصُ لِدلالة أَحْرَصَ الأوَّل عليه"^(٦)، والمعنى لتجدن اليهود أحرص من الناس في زمانهم ومن الذين

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٢٦/١.

(٢) ينظر: الجملة العربية والمعنى : ١٠٠.

(٣) ينظر: إعراب القرآن المنسوب للزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت: نحو ٥٤٣هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودارالكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة / بيروت، ط٤، (١٤٢٠هـ): ٦٢٢/٢، التبيان في إعراب القرآن: ٩٥/١.

(٤) معاني القرآن، الفراء: ٦٢/١-٦٣.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٩٥/١.

(٦) البحر المحيط في التفسير: ٥٠٢/١.

أشركوا^(١)، وقيل: إنّ المقصود بالذين أشركوا في هذه الآية هم المجوس، وقيل: مشركو العرب^(٢).

وقيل في توجيه شبه الجملة توجيهات أخرى منها: إنّها متعلقة بمحذوف دل عليه ما سبق، فهو من قبيل عطف المفرد على المفرد، والتقدير ولتجدنهم أحرص الناس وأحرص من الذين أشركوا^(٣)، وجوزه الزمخشري وذكر أنّ فيه توبيخ أعظماً؛ إذ إنّ الذين أشركوا لا يؤمنون بالميعاد، فلا يعرفون إلاّ هذه الحياة التي يعيشونها في الدنيا، أمّا هؤلاء فحرصهم كان نتيجة إيقانهم بأنّ مصيرهم نار جهنم^(٤)، وقد خص الذين أشركوا بالذكر مع أنّهم من جملة الناس؛ لأنّهم لا يؤمنون بالميعاد، فكان ذلك زيادة في تقييعهم، وإليه يميل الباحث.

وذكر الرازي توجيهاً آخر لشبه الجملة، وهو تعلقها بالفعل (تجدنهم) على تقدير الحذف والتقديم والتأخير، والمعنى لتجدنهم أي اليهود وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على الحياة، واختار التوجيه القائل بالعطف على المعنى^(٥)، ويلزم هذا التوجيه أنّ تكون شبه الجملة (من الذين أشركوا) صفة لمحذوف معطوف على ضمير (لتجدنهم)، وحذف الموصوف وبقاء الصفة جائز في العربية^(٦)، إلاّ أنّ في التوجيه شيئاً من الإسفاف والمبالغة .

ومن التوجيهات التي ذكرها العلماء في شبه الجملة تعلقها بما بعدها على الاستئناف، والتقدير (ومن الذين أشركوا قومٌ يودّ)^(٧)، فيكون متعلقاً بخبر مقدم لمبتدأ محذوف على هذا التقدير وجملة (يودّ) صفة له أو على تقدير (ومن الذين أشركوا من يودّ أصدّهم)^(٨)، وجملة (يودّ) صلة له، والمعنى ولتجدنّ اليهود أحرص الناس على الحياة، ومن الذين أشركوا قوم يود

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٧٠/٢.

(٢) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، (د. م)، (د. ت): ٧٥/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٠٢/١، الجدول في إعراب القرآن الكريم: ٢٠٦/١.

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٦٨/١.

(٥) مفاتيح الغيب: ٦٠٩/٣.

(٦) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٣٢٨/٢.

(٧) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٩٦/١.

(٨) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٣٨/١.

أحدهم أن يعمر ألف سنة، وكأنه ساوى بين حرص اليهود وحرص بعض المشركين على الحياة.

وخلاصة ما ذكر في توجيه شبه الجملة (ومن الذين أشركوا) هي :

أ- إنها معطوفة على الناس، وهو عطف على المعنى لتضمن معنى (من) في أحرص الناس، و في العطف إشارة إلى تساوي حرص المشركين على الحياة مع حرص سائر الناس إلا أن اليهود أشد حرصاً من الناس ومن الذين أشركوا .

ب- تعلقها بمحذوف دلّ عليه ما سبق (أحرص)، والمعنى أنهم أحرص من الناس وأحرص من الذين أشركوا، وقد خص الذين أشركوا بالذكر مع أنهم من جملة الناس، فكان حرصهم مختلف عن حرص سائر الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالمعاد، فكان ذلك زيادة في تفرع اليهود لأن حرصهم على الحياة قد فاق حرص المشركين الذين هم أولى بهذا الحرص، وهذا أبلغ التوجيهات.

ت- إن في الجملة تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى لتجدن اليهود وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على الحياة، وفيه يتساوى حرص اليهود مع حرص المشركين على الحياة، وهو حرص أشد من حرص سائر الناس.

ث- إنها كلام مستأنف فتتعلق بما بعدها، والمعنى ولتجدن اليهود أحرص الناس على الحياة ، ومن الذين أشركوا قوم يود أحدهم أن يعمر ألف سنة، فلا علاقة بين الحرص على الحياة والذين أشركوا فهو كلام مستأنف.

٢- قوله تعالى: ﴿* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٣٥-٣٦] .

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ شبه الجملة (في بيوتٍ) متعلقة بـ (مشكاة) في الآية السابقة ، وعلى هذا التوجيه يكون التقدير مثل نوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع، أو بـ(يهدي)، والتقدير يهدي الله لنوره من يشاء في بيوتٍ أذن الله أن ترفع، والبيوت هي المساجد^(١)، وقيل: إنَّ المقصود بالبيوت هي البيوت كلها^(٢)، وقيل: بيت المقدس^(٣).

وذكر الزجاج في تعلق شبه الجملة توجيهين، الأول: تعلقها بـ(مشكاة)، والمعنى كَمَشْكَاةٍ في بيوتٍ أي مساجد، والثاني: تعلقها بـ(يُسَبِّحُ)، ويكون فيها تكرار توكيد، والمعنى يسبح لله رجالٌ في بُيُوتٍ أذن الله لأن ترفع^(٤).

وذكر الرازي توجيهات كثيرة في تعلق شبه الجملة، منها تعلقها بـ(مصبح)، والتقدير كمشكاة فيها مصباحٌ في بيوت، وذكر أنه قول أكثر المحققين، واعترض أبو مسلم بن بحر الأصفهاني^(٥) (٣٢٢هـ) على ذلك بوجهين، الأول: إنَّ المصباح ذكر للمثل، وكونه في بُيُوتٍ أذن الله لا يزيد في المقصود، لأنَّ هذا لا يزيد المصباح إضاءة وإنارة، الثاني: إنَّ ما ذكرت من ألفاظ كـ (مشكاة، مصباح، زجاجة ...)، تقتضي كونه واحداً، ولفظ البيوت جمع ولا يصح أن يكون هذا الواحد في كل البيوت، ومن التوجيهات أيضاً تعلقها بـ (توقد)، والمعنى توقد من شجرة مباركة في بيوت أذن الله أن ترفع، ومنها تعلقها بقوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النور: ٣٤]، والتقدير: ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم في بيوت أذن الله أن ترفع،

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٢٦/١٥.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩٦/٢٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٥/٤.

(٤) ينظر: نفسه: ٤٥/٤.

(٥) محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم ، وإل من أهل أصفهان ، معتزلي المذهب ، من كبار الكتاب.. عالم بالتفسير وبغيره من صنوف العلم ، تُوفي سنة (٣٢٢هـ)، من كتبه: (جامع التأويل) في التفسير، أربعة عشر مجلداً ، جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصاً منه وردت في (مفاتيح الغيب) المعروف بتفسير الفخر الرازي، وسماها (ملنقط جامع التأويل لمحكم التنزيل)، طبع في جزء صغير، ومن كتبه (الناسخ والمنسوخ) وكتاب في (النحو) و(مجموع رسائله)، ينظر: الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت: ٤٣٨هـ)، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط٢، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م): ١٦٩، الأعلام: ٥٠/٦.

والمراد من الذين خلوا هم الأنبياء والمؤمنون، والمعنى أنزلنا إليكم آيات وأقاصيص من بُعث قبلكم من الأنبياء والمؤمنين في بيوتِ أذن الله أن ترفع، وهو قول أبي مسلم، ومنها إنه كلام مستأنف وشبه الجملة متعلق بفعلٍ محذوف، والتقدير صلوا في بيوت أذن الله أن ترفع، وهو قول الجبائي^(١) (٣٠٣هـ)، وأعترض عليه بقولهم: إن الإضمار لا يجوز القول فيه إلا في الضرورة، ومنها إن شبه الجملة متعلق بـ(يُسَبِّح)، وفيه تقديم وتأخير، والمعنى يسبح في بيوت أذن الله أن ترفع رجالاً، وهو قول الفراء، وأشكل عليه أن تقدير الآية في بيوتٍ يُسَبِّح له فيها يؤول إلى التكرار - (في بيوت) ، (فيها) - وخُرج على التوكيد^(٢).

و ذكر السمين الحلبي أن فيها ستة أوجه، منها تعلقها بمحذوف صفة (مشكاة)، والمعنى كمشكاة في بيوت أي بيت من بيوت الله، أو صفة لـ(مصباح)، والمعنى كمشكاة فيها مصباح في بيت من بيوت الله أذن الله أن ترفع، أو صفة لـ(زجاجة)، والمعنى المصباح في زجاجة في بيوت أذن الله أن ترفع، أو متعلقة بـ(يُوقد)، والمعنى يوقد في بيوت إذن الله أن ترفع، أو أن تتعلق بمحذوف كقوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ [النمل: ١٢]، أي يسبحونه في بيوت، أو أن تتعلق بـ (يُسَبِّح)، أي يسبح رجال في بيوت أذن الله أن ترفع^(٣)، أو على تقدير في بيوت... رجال يسبحون في الغدو والإيصال^(٤).

ومن الوجوه التي تحتملها الآية ولم يذكرها العلماء أن شبه الجملة متعلقة بـ(كون مستقر) خبر لمبتدأ محذوف يصلح أن يعود على: (مثل، مصباح، مشكاة، زجاجة)، والتقدير: هو في بيوتِ أذن الله أن ترفع، يعود على مثل نوره أو على المصباح أو...، والمعنى أن هذا النور أو المصباح في بيوت آذن الله أن ترفع فأصبح يستضيء بها القاصي والداني، وهي بيوت

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي: من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية). له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبي (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، [توفي سنة (٣٠٣هـ)] ودفن بجبي. له (تفسير) حافل مطول، ردّ عليه الأشعري، الأعلام: ٦/٢٥٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩٤/٢٤ - ٣٩٥.

(٣) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٤٠٩/٨.

(٤) ينظر: تفسير الكرماني المسمى (غرائبُ التفسيرِ وعجائبُ التأويلِ)، تاج القراء / محمود بن حمزة الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، (د.ت): ٧٩٨/٢.

الأنبياء والأولياء، وعظمة هذه البيوت من عظمة ساكنيها، وإنَّ نورهم هو من نور الله تعالى، فمن أراد هذا النور فعليه بتلك البيوت.

وخلاصة أقوال العلماء في توجيه تعلق شبه الجملة (في بيوت):

أ- أنَّ شبه الجملة (في بيوت) متعلقة بـ (مشكاة) في الآية السابقة ، وعلى هذا التوجيه يكون التقدير مثل نوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع.

ب- أنَّ تعلق بكون محذوف صفة (مشكاة)، والمعنى كمشكاة في بيوت أي بيت من بيوت الله.

ت- أنَّ تعلق بكون محذوف صفة لـ(مصباح)، والمعنى كمشكاة فيها مصباح في بيت من بيوت الله أذن الله أن ترفع.

ث- أنَّ تعلق بكون محذوف صفة لـ(زجاجة)، والمعنى المصباح في زجاجة في بيوت أذن الله أن ترفع.

ج- أنَّ تعلق بـ(يوقد)، والمعنى يوقد في بيوت إذن الله أن ترفع.

ح- أنَّ تعلق بمحذوف كقوله تعالى : (فِي تِسْعِ آيَاتٍ)، أي يسبحونه في بيوت، أو صلوا في بيوت.

خ- أنَّ تعلق بـ (يُسَبِّح) ، أي يسبح رجال في بيوت أذن الله أن ترفع .

د- أنَّ تعلق بقوله: (وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ)، والمعنى أنزلنا إليكم آيات وأقاصيص مَنْ بُعِثَ قَبْلَكُمْ من الأنبياء والمؤمنين في بيوتِ أذنَ الله أن ترفع.

ذ- أنَّ تعلق بقوله: (وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ)، والمعنى أنزلنا إليكم آيات وأقاصيص مَنْ بُعِثَ قَبْلَكُمْ من الأنبياء والمؤمنين في بيوتِ أذنَ الله أن ترفع.

ر- أنَّ تعلق بـ (يهدي)، والمعنى يهدي الله لنوره من يشاء في بيوتِ أذنَ الله أن ترفع.

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ذكر السيد الطباطبائي أنّ شبه الجملة (في الحياة الدنيا) متعلقة بقوله: (آمنوا)، ويفهم من قوله أنّ شبه الجملة (للذين آمنوا) متعلقة بكون محذوف خبر للمبتدأ (هي) العائد على (زينة، الطيبات)، والظرف (يوم القيامة) متعلق بما تعلق به قوله: (للذين آمنوا)، والخطاب في هذه الآية الكريمة إمّا للكافرين أو للمؤمنين والكافرين معاً، فيستلزم مشاركة الزينة وطيبات الرزق بين المؤمنين والكافرين، والمعنى وفق هذا التوجيه: إنّ الزينة وطيبات الرزق للمؤمنين يوم القيامة خالصة لهم لا يشاركون فيها أحد مثل شراكتهم في الدنيا مع غيرهم فيها، فمن آمن في الدنيا ملك نعمها في القيامة، إذ إنّ إثبات الزينة وطيبات الرزق للمؤمنين في الدنيا لا ينافي تشاركونهم مع غيرهم فيها، أمّا خلوصها لهم فهو مثبت لهم من دون غيرهم في الآخرة، وهذا الخلوص خلوص عن التشارك لا خلوص عن الهم والمنغصات كما يراه بعضهم، وهذا التوجيه هو المختار عند السيد الطباطبائي^(١).

وللعلماء في تعلق شبه الجملة (في الحياة الدنيا) بـ (آمنوا) تفسيران، الأول: إنّها للمؤمنين في الدنيا ينتفعون بها ولا يتبعهم إثمها، نسبته ابن عطية لسعيد بن جبيرة^(٢) - رضي الله عنه -، ويفهم من هذا الرأي أنّ الكافرين محاسبون عليها يوم القيامة، والثاني: إنّ هذه الزينة والطيبات من الرزق هي في الدنيا للمؤمنين وإن كان غيرهم مشتركين معهم وهي يوم القيامة خالصة فلا يشاركونهم أحد فيها، ونسب هذا القول إلى ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة والسدي وابن جريح^(٣) (١٥٠هـ) وابن زيد^(٤).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨/٨٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/٣٩٣.

(٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز في عصره، [توفي سنة (١٥٠هـ)]، الأعلام: ٤/١٦٠.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/٣٩٣-٣٩٤.

وللعلماء فيها توجيهات أخرى، منها أن تتعلق شبه الجملة (في الحياة الدنيا) بما تعلقت به شبه الجملة (للذين آمنوا) وهو الاستقرار المقدر، فيكون خبراً بعد خبر للمبتدأ (هي) على تقدير: هي مستقرة للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصة لهم يوم القيامة^(١)، والمعنى هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالأصالة، يشاركون فيها غيرهم بالتبعية، خالصة لهم يوم القيامة^(٢)، وقد ردّ السيد الطباطبائي هذا الرأي فقال: "وجه فساد: إنه إن أراد أن ما ذكره من الأصالة والتبعية هو مدلول الآية فمن الواضح أن الآية أجنبية عن الدلالة على ذلك، وإن أراد أن الآية تُفيد أن النعم الدنيوية للمؤمنين ثم بينت مشاركة الكفار لهم فيها، وإن ذلك بالأصالة والتبعية فقد عرفت أن الآية لا تدل إلا على اشتراك الطائفتين معاً في النعم الدنيوية، لا اختصاص المؤمنين بها في الدنيا"^(٣).

ومن التوجيهات التي ذكرها العلماء ما جمعه أبو علي الفارسي في الحجة، منها تعلق شبه الجملة (في الحياة الدنيا) بـ(حرم)، والمعنى قل من حرم زينة الله والطيبات من الرزق وقت الحياة الدنيا، ومنها تعلقها بـ(أخرج)، والمعنى من حرم زينة الله والطيبات من الرزق التي أخرجها في الحياة الدنيا، ومنها إنها تتعلق بالطيبات على أن معنى الطيبات هو المباحات، والمعنى من حرم زينة الله والمباحات في الحياة الدنيا، ومنها أن تتعلق بالرزق، والمعنى من حرم زينة الله وطيبات ما يرزقون في الحياة الدنيا؟^(٤).

وخلاصة ما قيل في تعلق شبه الجملة (في الحياة الدنيا) هي :

أ- تعلقها بـ (آمنوا)، وفي الآية معنيان، الأول: قل إن زينة الله والطيبات من الرزق للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشاركين مع غيرهم من المشركين خالصة لهم من دون أن يشاركون فيها غيرهم يوم القيامة، والثاني قل إن زينة الله والطيبات من الرزق للذين آمنوا في الدنيا ينتفعون بها ولا يتبعهم إثمها، فهي خالصة من الإثم والتبعية،

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣٠٢/٥.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٠١/٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٨٥/٨ - ٨٦.

(٤) ينظر: الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (ت: ٣٧٧هـ)، تح: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م): ١٤/٤.

وهذا التوجيه على التفسير الأول هو ما يميل إليه الباحث، إذ إنّ شبه الجملة عادت فيه على أقرب ما يصلح للتعلق فيه ، فهو لا يحتاج إلى تكلف التأويل.

ب- تعلقها بـ(كون) محذوف خبر ثانٍ للمبتدأ (هي)، والمعنى هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا عن طريق الأصالة، يشاركون فيها غيرهم بالتبعية خالصة لهم يوم القيامة.

ت- تعلقها بـ (حَرَمَ)، والمعنى قل من حرم زينة الله والطيبات من الرزق وقت الحياة الدنيا.

ث- تعلقها بـ(أخرج)، والمعنى من حرم زينة الله والطيبات من الرزق التي أخرجها في الحياة الدنيا.

ج- تعلقها بـ(الطيبات) أي المباحات، والمعنى من حرم زينة الله والمباحات في الحياة الدنيا.

ح- تعلقها بـ(الرزق)، والمعنى من حرم زينة الله وطيبات ما يرزقون في الحياة الدنيا.

المبحث الثاني تعدد التوجيه في الظرف

أولاً: ظرف الزمان:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٨٣-١٨٤﴾.

تعددت التوجيهات في قوله: (أياماً معدوداتٍ) مِنْ جِهَتَيْنِ: الأولى في بيان المقصود بها، فقال قوم: هي ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء، وهذا الذي فرض على الناس قبل أن يفرض عليهم صيام شهر رمضان، وقيل: بل كان الرسول - صلى الله عليه وآله - يصوم هذه الأيام تطوعاً، وإنَّ الأيام المقصودات في هذه الآية هي شهر رمضان^(١)، وذهب الطباطبائي إلى القول: إنَّ مقصود الأيام هو شهر رمضان، وردَّ غيره بوجهين، الأول: إنَّه اختلف على ثبوته في التاريخ ولو كان كما يقولون لأثبتته التاريخ من دون اختلاف، والثاني: أنَّ السياق يأبى أن تكون الآية - وهي قوله تعالى: (شهر رمضان) التي عدها بعضهم ناسخة لما قبلها - نازلة وحدها؛ لترابطها مع غيرها، وإنَّ وجب ذلك، فهي ليست صالحة لنسخ ما قبلها، لعدم المنافاة بينها وبين ما قبلها^(٢)، أمَّا الجهة الثانية التي اختلف فيها العلماء فهي تعلق (أياماً) وإعرابها، وقد ذكر الطباطبائي أنَّها منصوبة على الظرفية بتقدير (في)، والظرف متعلق بـ(الصيام)^(٣) وهو قول الزمخشري^(٤)، وقوله تعالى: (شهر رمضان) بياناً للأيام، ويفهم هذا الوجه أيضاً من قول الأخفش، إذ قال: "أي: كُتِبَ الصِّيَامُ أَيَّاماً. لَأَنَّكَ شَغَلْتَ الفعل بالصيام حتى صار هو يقوم مقام الفاعل، وصارت الأيام كأنك قد ذَكَرْتَ مَنْ فَعَلَ بِهَا"^(٥)، والمعنى كُتِبَ عليكم الصيام في أيام

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٥٧/٣ - ١٥٨.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١١-١٠/٢.

(٣) ينظر: نفسه: ٧-٥/٢.

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢٢٥/١.

(٥) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٦٩/١.

معدوداتٍ وهي شهر رمضان، واختاره الزجاج^(١)، وتعقبه كثيرون منهم السمين الحلبي، إذ يرون أنه فصل بين المصدر (الصيام) وبين معموله (أياماً) بمعمول (كُتِبَ)، وهو قوله (كما كتب)، أو بصفة المصدر إذا أعريت قوله: (كما كتب) صفة للمصدر، فلا يجوز العمل^(٢)، ورُدَّ عليه بأنَّ المنع إنما يكون لو أعربناها مفعولاً به للمصدر، والنحويون لا يجوزون نحو قولك: (هذا صارف ظريف زيداً)، أمّا بالنصب على الظرف فيجوز؛ لأنَّ الظروف تعمل فيها المعاني^(٣)، وقد أجاز بعضهم النصب على المفعولية^(٤)، وردّه بعضهم إلى الضعف، ووجه الضعف فيه: أنَّ المصدر المعرف بـ(ال) يكون ضعيفاً في العمل^(٥)، ومذهب سيبويه العمل، قال: "وتقول: عجبْتُ من الضَّرْبِ زيداً، كما قلت: عجبْتُ من الضاربِ زيداً، يكون الألفُ واللام بمنزلة التثوين"^(٦)، وذكر قول الشاعر^(٧): (المتقارب)

ضعيفُ النَّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاخِي الْأَجْلُ

ومذهب المبرِّد أنَّ العامل فيه مصدر محذوف، ومذهب السيرافي أنه منصوب على نزع الخافض^(٨).

ومذهب الفراء أنَّ (أياماً) مفعول به للفعل (كُتِبَ) والفعل عَمَلَ عَمَلِ الأفعال التي تنصب مفعولين، فرفع الأول نائباً للفاعل ونصب الثاني مفعولاً به^(٩)، وقيل: ظرفاً له، وتعقبه السمين الحلبي بالقول: إنَّ "كلا القولين خطأ: أمّا النصب على الظرف فإنه محل للفعل، والكتابة ليست

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٢/١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٢/٦ - ٥٣، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٣٩٩/١، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢٦٩/٢.

(٣) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٩٤/١، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٤٤١/٢.

(٤) ينظر: فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أب القلاوي الشنقيطي)، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط١، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م): ٥١٥.

(٥) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤٥٣.

(٦) الكتاب: ١٩٢/١.

(٧) البيت بلا نسبة في الكتاب: ١٩٢/١، وشرح أبيات سيبويه: ٢٦٠/١.

(٨) ينظر: شرح كتاب سيبويه: ٤٩/٢، منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: ٩٥/٣.

(٩) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ١١٢/١.

واقعة في الأيام، لكن متعلقها هو الواقع في الأيام، وأمّا النصب على المفعول اتساعاً فإنّ ذلك مبنيٌّ على كونه ظرفاً لكتب، وقد تقدم أنّه خطأ^(١).

وقيل: إنّ (أياماً) منصوبة بفعل مضمر، والتقدير: أن تصوموا أياماً معدودات^(٢)، أو على تقدير: صوموا أياماً معدودات^(٣)، وذكر العكبري أنّه لا يجوز أن ينتصب بمصدر (كُتِبَ) الأولى، ولا الصيام المذكور؛ لأنّه موصوف والمصدر الموصوف لا يعمل، والعامل عنده محذوف على تقدير: صوموا أياماً؛ لأنّ الظرف يعمل فيه المعنى: أو يكون العامل فيه الفعل (كُتِبَ) الأول، فيكون ظرفاً أو مفعولاً على السعة^(٤).

وخلاصة توجيهات العلماء في الآية:

أ- أن ينصب قوله: (أياماً) على الظرفية بتقدير (في)، والمعنى كُتِبَ عليكم الصيام في أيام معدوداتٍ وهي شهر رمضان .

ب- أن يُنصَبَ على المفعولية، والمعنى كتب الله صيام ايامٍ معدودات، وهذا الوجه أقرب لسياق الآيات وأظهر من غيره.

ت- أن يكون العامل فيه محذوفاً على تقدير (صوموا أياماً) أو (صيام أياماً).

ث- أن يكون منصوباً على نزع الخافض، والمعنى كتب عليكم الصيام في أيام.

٢- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتِبِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوْا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

قوله: (وجه النهار) منصوب على الظرفية^(٥)، وهو بمعنى أول النهار، وللنحويين في تعلقه توجيهان، الأول أن يتعلق بفعل الأمر (آمنوا)، والثاني أن يتعلق بالفعل (أنزل)، قال العكبري: "وَجْهَ ظَرْفٌ لَّامِنُوا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: (وَآكُفُّوْا آخِرَهُ)، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِأَنْزَلَ"^(٦).

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢٦٩/٢.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٥٦/٣-١٥٧.

(٣) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٦٣/٢.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٤٩/١.

(٥) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ٢٢٣/١، إعراب القرآن، النحاس: ١٦٥/١.

(٦) التبيان في إعراب القرآن: ٢٧٠/١.

وذكر السيد الطباطبائي أنَّ قوله: (وجه النَّهار) منصوب على الظرفية، وهو متعلق بقوله: (أنزل) لا بقوله: (آمنوا)؛ لأنَّه أقرب له، وأريد بالإنزال شيء خاص يوافق ما عند أهل الكتاب، وإنَّ هذا هو قول اليهود حين تغيرت القبلة، إذ صلى الرسول - صلى الله عليه وآله - صلاة الصبح إلى بيت المقدس الذي هو قبلة اليهود، ثم حول صلاته في الظهر باتجاه الكعبة المكرمة، فقالوا: آمنوا بما نزل أول النهار، أي استقبال بيت المقدس، واكفروا آخره، أي استقبال الكعبة، ويؤيده قولهم الذي ذكرته الآية: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، أي لا تتقوا ولا تؤمنوا إلا بمن تبع دينكم، ولا تفشوا ما عندكم من أسرارٍ وبياراتٍ، وكان عندهم من علامات النبي أنَّه يحول القبلة إلى الكعبة^(١)، وقيل: إنَّ المعنى: آمنوا بما أنزل وجه النهار، وكان قد أنزل ما يوافق معتقداتهم من أخبار في وصف رسلهم وكتبهم من الهدى والبيان أو غير ذلك^(٢).

أمَّا التوجيه القائل بتعلق شبه الجملة بـ(آمنوا)، فقد ورد فيه أكثر من تفسير، منها قول مقاتل: إنَّ مجموعة من اليهود وهم كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف قالوا لأتباعهم: آمنوا وصدقوا بالقرآن أول النهار، وهو وقت صلاة الغداة، واكفروا وكذبوا آخره، وهو وقت العشي، وقولوا لهم نظرنا في التوراة، فإذا النعت الذي فيها ليس نعت محمد صلى الله عليه وآله، فيلبس عليهم دينهم؛ لعلمهم يشكون فيه^(٣)، وفي تفسير الماتريدي أكثر من وجه منها آمنوا بأول أمر مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لا بالنهار نفسه، وقد كان بعضهم يقول لبعض: إنَّ محمدًا كان على قبلتنا، وإنَّ قبلته بيت المقدس يصلي إليها، فأمنوا به، واكفروا بآخر أمره، أي أكفروا بالقبلة الجديدة التي يصلي إليها الآن وهي الكعبة، ومنها إنَّه كان بعضهم يقول لبعض: آمنوا بمُحَمَّد في أول أمره، حتى يؤمن به جميع العرب، ثم اكفروا به في آخر أمره، فإذا سألهم المسلمون عن سبب كفرهم، قالوا: إنَّا وجدنا في التوراة نعت نبي وصفته، فحسبنا أنَّه هو، فأما به، ثم نظرنا فإذا ذلك لم يكن نعت ولا صفته، فرجعنا عن دينه وكفرنا به، حتى يرجعوا جميعًا عن دينه،

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٦/٣.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي: ٤٠٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٤/١.

وذكر أنَّ المعنى يحتمل أنَّ يظهرُوا الإيمان ويبطنُوا الكفر^(١)، وما ذكر في التفسير مشابه لهذه الأقوال، وردَّ الطباطبائي هذه الأقوال مشيراً إلى أنَّه لا دليل عليها من جهة اللفظ^(٢).

وخلاصة ما جاء في تعلق الظرف (وجه النهار) توجيهان هما:

أ- تعلقه بـ(آمنوا)، والمعنى قول بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان أول النهار، ثم الكفر آخره على وجه الخديعة؛ لعلهم يرجعون عن إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله، أو آمنوا بمحمد أول الأمر، ثم اكفروا بنبوته آخر الأمر؛ لإيقاع المسلمين في الشك والريبة. ويبدو أنَّ هذا الوجه هو الأقرب لسياق الآية، إذ إنَّ الآية قائمة على المقابلة بين إظهار الإيمان والكفر (الإيمان أول النهار والكفر آخره)، فهي تصف حالة النفاق التي عليها هؤلاء القوم؛ إذ إنَّهم يظهرون الإيمان طالما أختلطوا مع المسلمين في النهار لأجل مصالحهم أمَّا إذا خلوا إلى شياطينهم آخر النهار عادوا إلى كفرهم ونفاقهم.

ب- تعلقه بـ(أنزل)، والمعنى آمنوا بما نزل أول النهار واكفروا بما نزل آخره، وقد يكون المنزل أول النهار ما يوافق معتقداتهم ومصلحتهم من أخبار عن الأنبياء السابقين أو الكتب المنزلة عليهم أو القبلية التي يستقبلونها، وآخره ما يخالف معتقداتهم ومصلحتهم.

٣- قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَسُوءُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩].

يرى السيد الطباطبائي أنَّ قوله: (يوم القيامة) متعلق بجملة الذم، والمعنى بسوء الرfid رفدهم يوم القيامة، وهو نار جهنم التي يلقون فيها، وربما كان ظرفاً متعلقاً بقوله: (أَتَّبِعُوا)، والمعنى أتبِعُوا في الدنيا وفي يوم القيامة لعنة، أو متعلق بلعنة، والمعنى أتبِعُوا لعنة في الدنيا ولعنة يوم القيامة^(٣).

وللعلماء في توجيه تعلق الظرف آراء عدَّة، منها ما ذكره ابن فارس: إنَّ (يوم) نصب انتصاب المفعول به على السعة، والتقدير: وَأَتَّبِعُوا في هذه لعنة، أي الحياة الدنيا، ولعنة يوم القيامة، فحذف المصدر وأقام الظرف مقامه، فانتصب كانتصاب المفعول به، ولو لم يحذف

(١) ينظر: تفسير الماتريدي: ٤٠٣/٢.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٦/٣.

(٣) ينظر: نفسه: ٣٧٠/١٠.

المصدر وأضيف إلى اليوم كان كذلك، وقد يكون معطوفاً على موضع (في هذه)، والتقدير: وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَعْنَةً^(١)، وعلى التوجيه الأول: إِنَّ لَهُم لَعْنَتَيْنِ الْأُولَى فِي الدُّنْيَا وَهِيَ الْإِبْعَادُ بِالْغَرَقِ وَالْإِسْتِثْصَالُ، وَلَعْنَةُ فِي الْقِيَامَةِ بِدُخُولِهِمُ النَّارَ وَكَأَنَّ اللَّعْنَتَيْنِ قَدْ أُرْدِفَتَا عَلَيْهِمُ^(٢)، ويكون قوله تعالى: (بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ)، كلاماً مستأنفاً، والرفد هو العطاء، والمعنى بئس العطاء المعطى لهم وهي اللعنة بعد اللعنة^(٣)، وعلى التوجيه الثاني: إِنَّ اللَّعْنََةَ مُتَّصِلَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فيكون المعنى: عَلَيْهِمُ لَعْنَةٌ مِنْ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَلْعَنُهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ^(٤).

وقيل: إِنَّ الظرف متعلق بالذم، والمعنى أَنَّ لَهُمُ فِي الدُّنْيَا لَعْنَةً، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ مَا يُرْفَدُونَ بِهِ (النار)، فتكون النار رفداً لللعنة الدنيا، فهي لعنة في الدنيا وقبحُ إِرْفَادٍ فِي الْآخِرَةِ، وَاعْتَرِضَ عَلَى هَذَا التَّوْجِيهِ بِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَنَّ يَكُونَ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) مَعْمُولاً لَ (بِئْسَ)، وَهِيَ جَامِدَةٌ، فَلَا يَتَقَدَّمُ مَعْمُولُهَا عَلَيْهَا^(٥).

ويرى الباحث أَنَّ هَذَا الْإِعْتِرَاضَ مُضْطَرِبٌ مِنْ جِهَتَيْنِ، الْأُولَى: إِنَّ النُّحَوِّيِّينَ أَجَازُوا فِي الظرف والجار والمجرور ما لا يجوز في غيره^(٦)، والثانية: إِنَّ قَوْلَ النُّحَوِّيِّينَ بِمَنْعِ تَقَدُّمِ مَعْمُولِ الْفِعْلِ الْجَامِدِ عَلَيْهِ مُضْطَرِبٌ، فَمِنْ جِهَةٍ يَتَّفِقُونَ عَلَى مَنْعِ تَقَدُّمِ مَعْمُولِ (عسى)، لجمودها وعدم تصرفها، ويختلفون في (ليس)، فيجيزه قوم ويمنعها بعضهم^(٧)، ثم إِنَّ الظرف قد يتعلّق بالمصدر المحذوف على تقدير: (بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ رَفْدُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وَقَدْ أَجَازُوا حَذْفَ الْمَخْصُوصِ

(١) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٢٨/١.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٧/٢.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ٣٤٥٩/٥.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت): ٣٧٠/٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠٦/٦، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣٨٣/٦.

(٦) ينظر: الأصول في النحو: ٨٩/١، الخصائص: ٢٢/٢، ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٢٧٢/٢.

(٧) ينظر: الأصول في النحو: ٨٩/١-٩٠، شرح الكافية الشافية: ٣٩٧/١، كتاب التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبي البقاء العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تح: عبد الرحمن السليمان العثيمين، جامعة الملك عبد العزيز، (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م)، مسألة رقم (٤٧): ٢٤٣-٢٤٤.

إذا ذكر ما يدل عليه قبل الذم، فيمكن أن يكون التقدير على هذا (ورفدهم يوم القيامة بنس الرشد المرفود)، ثم حذف المصدر وبقي معموله، وبهذا يكون الظرف معمولاً للمصدر لا لبئس، وهو الوجه الذي استدل به النحويون على جواز تقدم معمول ليس عليها، فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨]، فقالوا: لا يتقدم معمول إلا حيث يتقدم العامل، وهذه القاعدة ليست مطردة على ما ذكره محمد محي الدين بن عبد الحميد، وقد ذكر مجموعة من المواضع يجوز فيها تقديم معمول من دون العامل منها: إنهم لا يجيزون تقديم خبر (إن) إذا لم يكن ظرفاً أو جاراً ومجروراً، وأجازوا تقديم معموله نحو (إنّ عندك زيدا جالس)، وعلى هذا فإنّ التقديم يجوز في بعض الأبواب لنكتة ما خاصة بهذا الموضع^(١)، وبالعودة إلى سياق الآية نجد أنّ في توسط الظرف بين الجملتين مع (واو) العطف يعطي اتساعاً في المعنى الآية وهو ما لا يعطيه تأخيرها في ترتيب الكلام، وهذه خصوصية القرآن الكريم في إيجازه ودلالة ألفاظه، فكأنّ هذا الظرف جمع معنى الجملتين في معنى واحد مرتبط ببعضه ببعض.

وخلاصة توجيهات العلماء في الآية هي:

- أ- أن يتعلّق الظرف (يوم) بجملة الذم، والمعنى بنس الرشد رفدهم يوم القيامة.
- ب- أن يتعلّق بقوله: (اتبعوا)، والمعنى أتبعوا لعنة في الدنيا ولعنة يوم القيامة، أي لعنتين الأولى في الدنيا والثانية يوم القيامة.
- ت- أن يتعلّق بقوله: (لعنة)، والمعنى أتبعوا لعنة في الدنيا ويوم القيامة، أي لعنة واحدة متصلة.
- ث- أن يتعلّق بمصدر محذوف دل عليه ما سبق (لعنة)، والمعنى أتبعوا في هذه لعنة ولعنة يوم القيامة، ثم حذف المصدر وقام الظرف مقامه فهو منصوب كانتصاب المفعول.
- ج- أن يكون معطوفاً على موضع (في هذه)، والمعنى وأتبعوا في هذه ويوم القيامة لعنة.

(١) ينظر: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: ٢٧٨/١.

ثانياً: ظرف المكان:

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ذكر السيد الطباطبائي أن قوله: (مَعَهُ) حالاً من نائب الفاعل في قوله: (أُنْزِلَ)، وعامل الظرف محذوف على تقدير (كائناً) أو (مستقراً)، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فأنزل معه بمعنى أنزل عليه أو أنزل إليه، و(مَعَهُ) دالة على المصاحبة والمقارنة، ومعنى الآية اتبعوا النور الذي أنزل عليه وهو القرآن الكريم، وهو بما احتوى من كمالٍ للشرائع السابقة شاهدٌ على صدق نبوته، وأمانةً على أنه النبي الموعود به أنبيائكم والمذكور في كتبهم^(١)، وجوز هذا الوجه أبو حيان فقال: "ويجوز عندي أن كون مَعَهُ ظرفاً في موضع الحال، فالعامل فيه محذوف تقديره أنزل كائناً معه وهي حال مقدرة كقوله: مررتُ برجلٍ مَعَهُ صقرٌ صائداً به غداً، فحالة الإنزال لم يكن معه لكنه صار مَعَهُ بعدُ كما أن الصيد لم يكن وقت المرور"^(٢).

و(مَعَهُ) عند النحويين تصلح للزمان والمكان بما يناسب المضاف^(٣)، ولذلك اختلفوا في تحديد ماهية الظرف في الآية الكريمة، فذهب بعضهم إلى القول: إنه ظرف مكان^(٤)، وذهب آخرون إلى أنه ظرف زمان، فأنزل معه، أي مقارناً لزمانه^(٥)، ولم يحدد السيد الطباطبائي ماهية

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٨٨/٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ١٩٦/٥.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: ١٤٥٧/٢.

(٤) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم: ٩٥/٩.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٢٨/٤، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م): ٢١٠/١.

الظرف ودلالته، والذي يفهم مِنْ قوله أَنَّ (مع) دالة على المصاحبة والمقارنة هو مطلق المصاحبة زماناً ومكاناً، فهو مقرونٌ به في كلا الطرفين.

واختلفوا أيضاً في تعلق الظرف، فمنهم مَنْ قال: إِنَّهُ متعلق بـ (أُنْزِلَ) على تقدير أُنْزِلَ مع نبوته، أو رسالته^(١)، فيكون المقصود بالنور الذي أُنْزِلَ معه هو القرآن، قال الزمخشري: "وَالنُّورَ الْقُرْآنَ، فَإِنْ قُلْتَ: ما معنى قوله: أُنْزِلَ مَعَهُ وَإِنَّمَا أُنْزِلَ مع جبريل؟ قلت: معناه أُنْزِلَ مَعَ نُبُوَّتِهِ، لَأَنَّ اسْتِنْبَاءَهُ كَانَ مَصْحُوباً بِالْقُرْآنِ مشفوعاً به"^(٢).

وقيل: إِنَّ الظرف متعلق بـ(اتبعوا) والمعنى اتبعوا القرآن مع اتباعهم للرسول صلى الله عليه وآله، وقيل: إِنَّهُ متعلق بمحذوف حال من فاعل اتبعوا، والمعنى اتبعوا القرآن مصاحبين للرسول في اتباعه له^(٣).

وقيل: إِنَّ مع بمعنى على، والمعنى اتبعوا النور الذي أُنْزِلَ على النبي، وقيل: بمعنى عند والتقدير أُنْزِلَ عنده^(٤).

ويرى السيد الطباطبائي أَنَّ هذه الآراء التي ذكرها العلماء لا تخلو من البعد^(٥).

وخلاصة توجيهات العلماء في الآية هي:

أولاً: الاختلاف في تعلق الظرف (مع)

أ- أن يتعلق الظرف بكون محذوف حالاً من نائب فاعل (أُنْزِلَ) على تقدير (كائناً)، أو (مستقراً)، والمعنى اتبعوا النور الذي أُنْزِلَ كائناً معه، وهذا المعنى هو الأقرب لسياق الآية؛ إذ إِنَّ النور الذي أُنْزِلَ معه (القرآن) وأوامر الرسول - صلى الله عليه وآله - واحدة فلا فرق بينهما فالقرآن والرسول على حدٍ سواءٍ في الاتباع؛ لأنَّ ما يصدر منهما حقٌّ.

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧٧/٥، محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (١٤١٨هـ): ١٩٣/٥.

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٦٦/٣.

(٣) ينظر: نفسه: ١٦٦/٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧٧/٥.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧٧-٧٨.

(٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٨٨/٨.

ب- أن يتعلق الظرف (مع) ب(أنزل)، والتقدير أنزل مع نبوته، أو مع رسالته، والمعنى اتبعوا القرآن الذي أنزل مع توقيت نبوته دالاً عليها.

ت- أن يتعلق الظرف ب(اتبعوا)، والمعنى اتبعوا القرآن مع اتباعهم للرسول - صلى الله عليه وآله -.

ث- أن يتعلق بكون محذوف حال من فاعل اتبعوا، والمعنى اتبعوا القرآن مصاحبين للرسول في اتباعه له.

ثانياً: الاختلاف في ماهية الظرف (مع)

أ- أن تكون (مع) بمعنى (على)، والمعنى اتبعوا النور الذي أنزل على النبي.

ب- أن تكون (مع) بمعنى (عند)، والمعنى اتبعوا النور الذي أنزل عنده.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

(بين) ظرف متصرف يأتي للمكان أو الزمان بما يلائم المضاف، ومن المكان قولنا: جلست بين زيد وخالد، ومن الزمان قولنا: حضرت بين الضحى والظهر^(١)، واختلف العلماء في تحديد الظرف (بين) في الآية الكريمة، أ للزمان هو أم للمكان؟

وذكر السيد الطباطبائي أن (بين) ظرف يطلق على ما يكون قريباً منه مشرفاً عليه، فيدخل فيه نوع من التصرف والتسلط، فيكون ظاهر قوله تعالى: (مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) ما نشرف عليه كشفاً وشهوداً، ويقابله قوله: (مَا خَلْفَنَا) غياباً وسترًا، فلو أريد به المكان في الآية الكريمة لشمّل بعض المكان الذي أمامهم، والمكان الذي هم فيه، وجميع المكان الذي خلفهم، ولم يشمل مطلق المكان، أمّا لو أريد به الزمان، لشمّل الماضي كله والحاضر والمستقبل القريب من دون البعيد، فلم يشمل الزمان كله، وهذا لا يلائم ما تدعو له الآية من شمول إحاطته تعالى، ولذلك وجه تفسير الآية بقوله: إن مقصود (مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) هي الأعمال والآثار المتفرعة على وجودهم

(١) ينظر: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، د. علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، دار الأمل، ط ٢، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م): ١١٨.

والقائمون بها والمتسلطون عليها، وقوله: (مَا خَلَفْنَا) ما كان من أسباب وجودهم مما تقدم وتحقق قبلهم، وقوله: (مَا بَيَّنَّ ذَلِكَ) وجودهم أنفسهم، وعلى هذا تتم الإحاطة الإلهية بهم من كل الجهات، والمعنى أَنَّ الله تعالى مالك وجودنا وما يتعلق به وجودنا من قبله ومن بعده^(١).

واختلف المعربون والمفسرون في تحديد ماهية الظرف، فقال بعضهم: إنه ظرف مكان^(٢)، ولهم أكثر من تفسير على هذا الوجه منها: إنَّ معنى ما بين أيدينا السماء، وما خلفنا الأرض، وما بين ذلك ما بينهما^(٣)، ومنها: إنَّ ما بين أيدينا الأرض إذا أردنا النزول إليها، وما خلفنا السماء إذا نزلنا منها، وما بين ذلك ما بينهما من الهواء^(٤)، ومنها: ما بين أيدينا المكان الذي ينتقلون إليه، وما خلفنا المكان الذي ينتقلون منه، وما بين ذلك المكان الذي هم فيه، قال الزمخشري: "وله ما قدامنا وَمَا خَلَفْنَا من الجهات والأماكن وَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيتته، وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون، وما يحدث ويتجدد من الأحوال، لا يجوز عليه الغفلة والنسيان، فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة، وأطلق لنا الإذن فيه"^(٥)، ومنها: ما بين الأيدي وما خلفها هي الأماكن التي فيها تصرفهم، وما بين ذلك هم أنفسهم ومقاماتهم، فهم مقيدون بقدرته لا ينتقلون ولا يتنزلون إلا بأمره تعالى^(٦).

وقال بعضهم: إنه ظرف زمان^(٧)، واختلفوا في التفسير على هذا الوجه، قال مقاتل: "لَهُ مَا بَيَّنَّ أَيْدِينَا من أمر الآخرة وَمَا خَلَفْنَا من أمر الدنيا وَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ يعني ما بين الدنيا والآخرة،

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨١/١٤ - ٨٢ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي - دمشق، ط ١، (١٤٢٥ هـ): ٢٤٨/٢، ١١٤ - المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، (١٤٢٦ هـ): ٦٧٦/٢.

(٣) ينظر: النكت والعيون: ٣٨٢/٣.

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٤٤/٥، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢٩/٣ .

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢٩/٣ .

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٤/٤.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٣٧/٣.

يعني ما بين النفختين^(١)، وبه قال سعيد بن جبير وقتادة^(٢)، وقيل: ما بين أيدينا هو ما مضى من أيامنا من الدنيا، وما خلفنا هو ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة، وما بين ذلك هو ما مضى من قبل وما يكون من بعد، نسبه الماوردي إلى ابن جرير^(٣)، وقيل: ما بين أيدينا هو ما بقي من الدنيا، وما خلفنا هو ما مضى منها، وما بين ذلك هو مدة الحياة، وقيل: ما بين أيدينا هو ما بعد الموت، وما خلفنا هو ما قبل أن نخلق، وما بين ذلك مدة حياتنا^(٤)، وقيل: ما بين أيدينا في الدنيا بأسرها حتى النفخة الأولى، وما خلفنا الآخرة بعد البعث أي بعد النفخة الثانية، وما بين ذلك هو ما بين النفختين، وقيل: ما بين أيدينا ما مرَّ من الزمن قبل إيجادنا، وما خلفنا ما بعد الموت إلى استمرار الآخرة، وما بين ذلك هو الحياة^(٥).

و قال بعضهم: إنَّ الظرف يفيد الإحاطة زماناً ومكاناً، قال البيضاوي: "لَهُ مَا بَيْنَ أَيِّدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَهُوَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْأَمَاكِنِ وَالْأَحْيَانِ لَا نَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَلَا نَنْزِلُ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ إِلَّا بِأَمْرِهِ وَمَشِيئَتِهِ"^(٦)، وقيل: له ما بين أيدينا من مكان وزمان وما فيهما، وما خلفنا من ذلك وما بين ذلك نحن والمكان والزمان اللذان نحن بهما وما فوقه وتحت^(٧).

وقد جمع الطباطبائي أحد عشر قولاً في تفسير هذه الآية ثلاثة منها توجه الظرف للمكان، وسبعة للزمان، ووجه للزمان والمكان، وهي بعيدة ولا دليل على شيء منها في نظره، وفيها شيء من قياس الملك على الإنسان، وهذا لا يلائم ما أفادته الآية من إحاطة ملكه تعالى بهم ملكاً حقيقياً، لا يجري به تصرف غيره ولا إرادته إلا بإذنه ومشيتته، فلا تفعل الملائكة شيئاً إلا بأمره وإذنه ولا تريد إلا ما أَرَادَهُ، ولا تنزل إلا بأمره^(٨).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٣/٢.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٤٤/٥.

(٣) ينظر: النكت والعيون: ٣٨٢/٣.

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٤٤/٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٤٣٩/٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٤/٤.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٥/٤.

(٧) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٣٠/١٢.

(٨) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨٢/١٤.

وخلاصة توجيهات العلماء في الآية هي:

أ- أن يكون قوله: (بين) ظرفاً للمكان، والمعنى له ما بين أيدينا من مكانٍ وما خلفنا وما بينهما، ووجه هذا التوجيه بأكثر من معنى، منه: أن يكون المقصود بما بين أيدينا المكان الذي نحن فيه (الأرض، أو السماء)، وما خلفنا المكان الذي جننا منه وهو عكس الأول في الغالب (السماء الأرض)، وما بين ذلك أي ما بينهما.

ب- أن يكون ظرفاً للزمان، والمعنى له ما بين أيدينا من زمانٍ، أي الزمن الحاضر (الدنيا، الآن)، وما خلفنا من زمانٍ وهو الماضي أو المستقبل (قبل أن نخلق، أو بعد أن نموت، أو مستقبل حياتنا) وما بينهما من وقت.

ت- أن يكون بمعنى مطلق الإحاطة زماناً ومكاناً وعلماً وغيره.

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

ذكر الطباطبائي أن (ثُمَّ) في الآية الكريمة ظرف مكانٍ مُحَضَّض في الظرفية، والمعنى وإذا رأيت، أي رميت ببصرك هناك، أي الجنة، رأيت نعيماً لا يوصف وملكاً كبيراً لا يُحد ولا يُقدر^(١)، ثم ذكر توجيهاً آخر مصدراً له بقليل، مجمله: إِنَّ (ثُمَّ) صلة (ما) المحذوفة، والتقدير: إذا رأيت ما ثَمَّ رأيت نعيماً، قياساً على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]^(٢)، وهذا أحد قولي الفراء^(٣).

والمسألة خلاف بين النحويين، إذ أجاز الكوفيون والأخفش حذف الموصول الاسمي إذا علم، ومذهب البصريين المنع^(٤)، وأجازه ابن مالك بشرط القرينة الدالة على المحذوف، لفظية كانت كالعطف^(٥)، أو معنوية كقصد الإبهام^(٦)، ومن العلماء من أعرب (ثُمَّ) مفعولاً لرأيت

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٤٢/٢٠.

(٢) ينظر: نفسه: ١٤٢/٢٠.

(٣) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٢١٨/٣، ٣٦٧.

(٤) ينظر: شرح تسهيل الفوائد: ٢٣٥/١، الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة (١٠٣): ٥٩٢/٢-٥٩٣.

(٥) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣١٣/١.

(٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٨١٥/١.

ونسب هذا الرأي للفراء والأخفش^(١)، وتعقبه كثيرون بالغلط، ف(ثَمَّ) عند النحويين يشار بها للمكان البعيد، وهي ملازمة للظرفية ولا تخرج عنها إلا بالجر بـ(مِنْ)، ومفعول (رَأَيْتَ) محذوف إما اختصاراً على تقدير: وإذا رأيت ثَمَّ الموعود به، أو اقتصاراً على تقدير: وإذا حصلت رؤيتك في ذلك المكان^(٢)، قال الزمخشري: "رَأَيْتَ ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم، كأنه قيل: وإذا أوجدت الرؤية، ثم. ومعناه: أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير. وثَمَّ في موضع النصب على الظرف، يعنى في الجنة ومن قال: معناه (ما ثم) فقد أخطأ؛ لأنَّ (ثم) صلة لما، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة"^(٣)، والزمخشري هنا تابع البصريين في منع حذف الموصول وبقاء الصلة.

وخلاصة توجيهات الآية هي:

أ- أن تكون (ثم) ظرفاً متعلقاً بقوله: (رَأَيْتَ)، والمعنى إذا نظرت رأيت هنالك نعيماً وملكاً عظيماً، وهذا الرأي هو الأقرب لسياق الآيات بما تصفه من نعم يوم القيامة ولخلوه من غرابة التقدير.

ب- أن تكون صلة لـ(ما) المحذوفة، والمعنى إذا رأيت ما هنالك رأيت نعيماً وملكاً عظيماً.

ت- أن تكون مفعول (رَأَيْتَ) الأولى، والمعنى إذا رأيت ثَمَّ أي ما هنالك فإنك ترى نعيماً وملكاً عظيماً.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٦٦/٥، مشكل إعراب القرآن: ٧٨٥/٢.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٣٥/٣، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م): ١٤٧/١، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٢١٠/١.

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٦٧٣/٤.

الفصل الرابع: المعنى وتعدد التوجيه في الجملة.

- مفهوم الجملة عند النحويين قديماً وحديثاً.
- تقسيم الجمل عند النحويين.
- المبحث الأول: تعدد التوجيه في الجمل:
 - أولاً: الجملة الاسمية.
 - ثانياً: الجملة الفعلية.
- المبحث الثاني: مسائل متفرقة تتعلق بتعدد توجيه الجمل.

مفهوم الجملة عند النحويين قديماً وحديثاً:

الجملة من المصطلحات النحوية التي نالت عناية النحويين على مر العصور، فشابهها الكثير من الجدل، إذ "قدموا لنا عدداً ضخماً من التعريفات أربى على ثلاثمائة تعريف"^(١)، ويكشف هذا العدد الكبير من التعريفات مدى اختلاف النحويين في توجهاتهم ومناهجهم لوضع تصور عام وشامل لهذا المصطلح، والذي ينظر في كتب أوائل النحويين، يجد أنّ هذا المصطلح لم يأت في كتاب سيبويه إلاّ بمعناه اللغوي^(٢)، وإنّ المبرّد هو أول من صرح به في كتابه المقتضب^(٣)، إذ قال في كلامه عن الفاعل: "وهو رفع وذلك قولك: قام عبد الله وجلس زيد وإنما كان الفاعل رفعاً لأنّه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت قام زيد فهو بمنزلة قولك القائم زيد"^(٤)، فقول المبرّد السابق يدل على فهم كامل للمصطلح، ورسم حدوده بدقة بالتمثيل له والتشبيه، فقله: "الفعل والفاعل جملة بمنزلة المبتدأ والخبر" دليل بيّن على عمق فهمه لمصطلح الجملة وأقسامها، ثم شاع استخدامه في كتب النحويين وغيرهم كابن السراج، وابن فارس وابن جني والرضي وغيرهم.

وهؤلاء النحويون لم يتفقوا على مفهوم واحد للجملة، ويبدو أنّ أسباب اختلافهم ترجع إلى المعايير التي اعتمدها لتحديد مفهوم المصطلح وتعريفه، وأهم هذه المعايير هو معيار الإسناد، ومعيار المعنى، إذ يشترط بعضهم تحقق الاثنين في الجملة، بمعنى آخر أن تكون الجملة تركيباً إسنادياً يؤدي إلى معنى تام، وبذلك يتساوى مفهوم الجملة مع مفهوم الكلام عند

(١) مدخل إلى دراسة الجملة العربية، أ. د. محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب - القاهرة، ط١، (١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م): ٩.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢١٧/١، ١١٩/٣، ٢٠٨/٣، ١٦/٤، ١٦٣/٤، مفهوم الجملة عند سيبويه، د. حسن عبد الغني جواد الأسدي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م): ٢٦، مدخل إلى دراسة الجملة العربية: ١٤.

(٣) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية: ١٦، أقسام الجملة في اللغة العربية - دراسة البنية والدلالة في سورة محمد - ، ردوي فاطمة الزهراء، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف - المسيلة - الجزائر (٢٠١٦ م - ٢٠١٧ م): ٦.

(٤) المقتضب: ٨/١.

أصحاب هذا الاتجاه^(١)، إذ إنّ الكلام في اصطلاح النحويين هو "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"^(٢)، أمّا بعضهم الآخر فيشترط الإسناد فقط لتحقيق الجملة، فلا يكون المعنى التام شرطاً في تحقق المفهوم، فإنّ تحقق فهو جملة وكلام، وإنّ لم يتحقق فهو جملة فقط، إذ إنّ كل كلام جملة، وليس كل جملة كلاماً، فالعلاقة بينهما علاقة العام بالخاص^(٣)، والأخير ما ذهب إليه الجمهور^(٤)، قال الرضيّ الاسترابادي مفرقاً بينهما: "والفرق بين الجملة والكلام: أنّ الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي (سواء) كانت مقصودة لذاتها، أو لا ... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي، وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة، ولا ينعكس"^(٥)، أمّا الوجه الأول فيمثله الزمخشري في المفصل إذ قال: "والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى. وذاك لا يتأتى إلّا في اسمين كقولك: زيدٌ أخوك، وبشرٌ صاحبك. أو في فعل واسم نحو قولك: ضربَ زيدٌ، وانطلق بكرٌ، وتسمى الجملة"^(٦)، وتابعه فيه ابن يعيش في قوله: "اعلم أنّ الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، ويسمى: الجملة، نحو: زيدٌ أخوك، و"قامَ بكرٌ"^(٧) أمّا ابن جني فيرى "أنّ الكلام إنّما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برعوسها المستغنية عن غيرها وهي التي يسمّيها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها"^(٨)، غير أنّه فرق بين الجملة والكلام ، إذ إنّ الكلام جنس للجملة، فقد يشتمل على الجملة الواحدة والجمل المتعددة مع شرط التمام، ويبدو أنّ قوله: "الكلام إذا إنّما هو جنس للجمل التّوام: مفردها، ومثناها، ومجموعها؛ كما أنّ القيام جنس للقومات: مفردها ومثناها

(١) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط ٣ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م): ١١.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١/١٤، ينظر: الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، تح: د. حسن شانلي فرهود (كلية الآداب - جامعة الرياض)، ط ١، (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م):

(٣) ينظر: إعراب الجمل وأشبه الجمل، د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي بطلب، ط ٥ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م): ١٧
(٤) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٢.

(٥) شرح الرضي على الكافية: ١/١٨.

(٦) المفصل في صنعة الإعراب: ٢٣.

(٧) شرح المفصل: ١/٧٢.

(٨) الخصائص: ١/٣٣.

ومجموعها. فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام. وهذا جلي^(١)، قد فسر بأكثر من وجه، فعده بعضهم في أصحاب الاتجاه الأول، وعدّه بعضهم الآخر في أصحاب الاتجاه الثاني^(٢)، والذي يبدو من كلام ابن جني إنّما أراد به أنّ الكلام جنس يشمل الجمل من دون الكلمات، أي أنّه جنس للتركيب مع بقاء شرط الإفادة، وهذا يتضح بقوله: "فإن قلت: قدّمت في أول كلامك أنّ الكلام واقع على الجمل من دون الآحاد، وأعطيت ههنا أنّه اسم الجنس؛ لأن المصدر كذلك حاله؛ والمصدر يتناول الجنس وآحاده تناولاً واحداً. فقد أراك انصرفت عما عقدته على نفسك: من كون الكلام مختصاً بالجمل المركبة، وأنه لا يقع على الآحاد المجردة وأنّ ذلك إنما هو القول؛ لأنّه فيما زعمت يصلح للآحاد، والمفردات، وللجمل المركبات، قيل: ما قدمناه صحيح وهذا الاعتراض ساقط عنه، وذلك أنا نقول: لا محالة أنّ الكلام مختص بالجمل، ونقول مع هذا: إنه جنس أي جنس للجمل، كما أنّ الإنسان من قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] جنس للناس، فكذلك الكلام، جنس للجمل، فإذا قال: قام محمدٌ فهو كلام، وإذا قال: قام محمدٌ، وأخوك جعفرٌ فهو أيضاً كلام؛ كما كان لما وقع على الجملة الواحدة كلاماً^(٣)، فابن جني مع اشتراطه للجمع بين معياري الإسناد والتمام، إلّا أنّه لم يساو بين الجملة والكلام.

ولم يقتصر الاختلاف على قدماء النحويين، بل امتدّ إلى العصر الحديث فنجد الدكتور إبراهيم أنيس يقول: "إنّ الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"^(٤)، فالدكتور إبراهيم أنيس يتمسك بمعياري الإسناد واستقلال المعنى في تحقيق مفهوم الجملة، وفي قوله إشارة إلى شرط تحقق الإسناد لفظاً أو تقديراً؛ لأنّ الشيء لا يتركب مع نفسه بل مع غيره، وتابعه في ذلك الدكتور مهدي المخزومي، فعّد الإسناد أحد العناصر الرئيسة في تكوين الجملة التي هي: المسند،

(١) الخصائص: ٢٨/١.

(٢) ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل: ١٧، الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١١.

(٣) الخصائص: ٢٧/١.

(٤) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط ٣ (١٩٦٦هـ): ٢٦٠ - ٢٦١.

والمسند إليه، والإسناد، واشترط المعنى المفيد فيها^(١)، ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب "أنَّ الجمل في العربية نوعان: إسنادية وغير إسنادية، والجمل الإسنادية تنحصر في الجمل الاسمية والجمل الفعلية، أمَّا الجمل غير الإسنادية، فهي: جملة النداء، وجملة نعم وبئس، وجملة التعجب"^(٢)، فهو لا يشترط الإسناد في تحقق مفهوم الجملة.

تقسيم الجمل عند النحويين:

ذكرنا أنَّ سيبويه لم يستخدم مصطلح الجملة بالمفهوم المتعارف عليه عند النحويين بعده، إلا أنَّ المفهوم كان حاضراً في كلامه، واستعاض عنه بـ(المسند، والمسند إليه)، فقال: "هذا باب المسند والمسند إليه: وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجِدُ المتكلمُ منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه، وهو قولك: عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوَّل بدٌّ من الآخر في الابتداء"^(٣)، فمن تمثيله للمسند والمسند إليه نفهم أنَّ الجملة عند سيبويه تقسم إلى: جملة اسمية، ويمثلها المثال الأول والثاني، وفعلية، ويمثلها المثال الثالث، وهو التقسيم الذي اعتمده أغلب النحويين بعد سيبويه، قال المبرِّد: "وإنَّما كان الفاعل رفعاً لأنَّه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت قامَ زيدٌ فهو بمنزلة قولك: القائمُ زيدٌ"^(٤)، وقال ابن جني: "وأما الجملة فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه وهي على ضربين: جملة مركبة من مبتدأ وخبر وجملة مركبة من فعل وفاعل"^(٥)، ويبدو أنَّ النحويين اعتمدوا ما يتصدر الجملة في تقسيمهم هذا، فعدوا الجملة المتصدرة باسم جملة اسمية، والجملة المتصدرة بفعل جملة فعلية، من دون النظر إلى ما تقدمها من حروف لو تقدمت^(٦) اعتماداً

(١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط٢، (١٤٠٦هـ -

١٩٨٦م): ٣١

(٢) دراسات نقدية في النحو العربي، د. عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصباح، (د. ت): ١٢٩.

(٣) الكتاب: ٢٣/١.

(٤) المقتضب: ٨/١.

(٥) اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية -

الكويت، (د. ت): ٢٧.

(٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٣/٥، ١٥، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٥٥/١.

على الشكل المثالي لكل منهما، إذا لم يوجب عارض أو يجيز مخالفة هذا الشكل^(١)، وقد أضاف ابن هشام - اعتماداً على طريقة التصنيف التي اتبعها النحويون - قسماً ثالثاً للجملة سماه الجملة الظرفية، لأنها تبدأ بظرف أو جار ومجرور، نحو: (أعندك محمد؟)، و(أفي الدار محمد؟) على مذهب من جعل زيد فاعلاً بالظرف أو الجار والمجرور^(٢)، وأضاف الزمخشري الجملة الشرطية، وعدّها ابن هشام من الجمل الفعلية^(٣).

ولم يكتفِ النحويون بهذا التقسيم، فقسموا الجمل بحسب محلها الإعرابي إلى : جمل لها محل من الإعراب، وجمل لا محل لها من الإعراب، أمّا القسم الأول فهي الجمل التي تحل محل المفرد؛ فتقع خبراً في الجملة الاسمية منسوخة كانت أم غير منسوخة؟، نحو: (زيدٌ يكرمُ ضيفه)، أو حالاً نحو: (شاهدتُ زيداً يكرمُ ضيفه)، أو مفعولاً نحو: (قال محمد: زيدٌ يكرمُ ضيفه)، أو مضافةً إلى ما قبلها نحو: (شاهدتُ الحجاجَ يومَ قدموا)، أو تابعة لمفرد، فتقع صفةً له أو معطوفة عليه، أو بدلاً منه، نحو: (شاهدتُ رجلاً يكرمُ ضيفه)، أو تقع بعد الفاء أو (إذا) وهي جواب للشرط الجازم نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، أو تابعة لجملة لها محل من الإعراب نحو: (زيدٌ يكرمُ ضيفه، ويحمي جاره)، وزاد ابن هشام الجملة المستثناة والجملة المسند إليه، وما عدا هذه المواقع فهي جمل لا محل لها من الإعراب^(٤)، وللنحاة - قدماء ومحدثين - تقسيمات أخرى يضيق بها المقام، كالخبرية والانشائية، والكبرى والصغرى، وغيرها من التقسيمات.

(١) يتكون الشكل المثالي للجملة الاسمية من (مبتدأ + خبر)، والفعلية من (فعل + فاعل) وقد يضاف إليه بعد هذه الأجزاء ما يسمى بالفضلة (التكملة)، إلا إنَّ الجمل في الاستعمال لا تكون دائماً على هذه الصورة، فقد يتقدم - مثلاً - في الجملة الفعلية المفعول به على الفعل والفاعل، فيتصدر الجملة لفظاً، إلا إنَّ الجملة مع ذلك تبقى فعلية؛ لأنه وإنَّ تقدم باللفظ إلا إنَّه متأخر في المرتبة، مثال ذلك أن تقول: زيداً ضربتُ، فإنَّ أصل الجملة ضربتُ زيداً، وإنَّما تقدم المفعول لغرض بلاغي كالاهتمام مثلاً.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٣/٥ - ١٤.

(٣) ينظر: نفسه: ١٤/٥.

(٤) ينظر: نفسه: ١٦١/٥ - ٢٣٩.

المبحث الأول: تعدد التوجيه في الجمل

ذكرنا أنَّ النحويين قسموا الجمل على عدة تقسيمات منها ما يتعلق بالمحل الإعرابي، فسموها تبعاً لذلك إلى جمل لها محل من الإعراب، وجمل لا محل لها من الإعراب، إلا أنَّ بعض الجمل قد تحتل أن تكون من الجمل التي لها محل من الإعراب، ومن الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وبذلك يتعدد التوجيه فيها، وقد تأتي جمل أخرى لها محل من الإعراب، إلا أنَّ هذا المحل يمكن أن يتعدد، فيمكن أن تكون حالاً أو صفةً أو غير ذلك، فيتعدد توجيهها النحوي تبعاً لذلك، فينتج عن هذا التعدد تعدد في المعنى، وستقف الدراسة على بعض هذه الجمل فيما يلي:

أولاً: الجملة الاسمية:

١- قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ جملة (وهم يطمعون) حال من أصحاب الجنة، فهي حال ثانية بعد جملة (لم يدخلوها)، والنداء يصدر من رجال الأعراف، والمعنى أنَّ رجال الأعراف نادوا أصحاب الجنة والحال أنَّهم لم يدخلوا الجنة بعد وهم طامعون في دخولها أنَّ سلام عليكم، ويحتمل أن تكون الجملة (وهم يطمعون) حال من الضمير (الواو) في يدخلوها، والمعنى لم يدخلوا الجنة طامعين؛ لأنَّهم يأسوا بعد ما شهدوا هول الحساب، والأول هو الأرجح عند السيد بما يعطيه السياق^(١)، وردَّ توجيه الجملتين بأنَّهما حالان من الضمير (الواو) في (نادوا) العائد على رجال الأعراف بقوله: "وأما احتمال أنَّ تكون الجملتان حالين من ضمير الجمع في (نادوا) فيوجب سقوط الجملة عن الإفادة كما هو الظاهر، وذلك لرجوع المعنى إلى أنَّ هؤلاء الذين هم على أعراف الحجاب بين الجنة والنار نادوا وهم لم يدخلوها"^(٢)، وذكر توجيهاً ثالثاً في تفسير الآية، وهو أنَّ قوله: (لم يدخلوها ...) كلام مستأنف يخبر عن حالهم أي حال رجال الأعراف،

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣١/٨-١٣٢.

(٢) نفسه: ١٣٢/٨.

فهو بيان لحالهم، ويبعده لزوم إظهار الفاعل في: (لم يدخلوها) من دون أن يكون ضميراً منعاً للبس، وما يبعد أن يكون الكلام وصفاً وجود الفصل بين الصفة والموصوف وهو قوله: (أن سلام..) من غير ما يوجب ذلك، ثم يذكر أن القول يرجع الكلام إلى رجال الأعراف هو الذي جعل المفسرين يقولون بأن أصحاب الأعراف هم من استوت عندهم الحسنات والسيئات فلم يدخلوا الجنة أو النار فأوقفوا عليها، أي على الأعراف^(١)، واختلف المفسرون في المقصود بأصحاب الأعراف، " فقال قوم: هم ملائكة، وقيل: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، ومن أحسن ما قيل فيه: إن أصحاب الأعراف عدول القيامة وهم الشهداء من كل أمة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم فهم على السور بين الجنة والنار"^(٢)، وقيل في توجيه الجملتين في الآية الكريمة (لم يدخلوها)، (وهم يطمعون): "هم أصحاب الأعراف، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة، وقيل: هم أهل الجنة قبل أن يدخلوها، وهو قول أبي مجلز"^(٣)، وذهب الزمخشري إلى القول: إنه كلام مستأنف، وهو جواب لسؤال مقدر عن حال أصحاب الأعراف، وجوز وقوعه صفة لرجال^(٤)، وتعقب أبو حيان التوجيه الثاني بالضعف لوقوع الفصل بين الصفة والموصوف^(٥)، وذكر العكبري أن الكلام يعود على أصحاب الجنة، وفيه توجيهان: الأول أن يكون النداء قبل دخول الجنة، فتكون الجملة (لم يدخلوها) حالاً عن أصحاب الجنة، والجملة (وهم يطمعون) لا موضع لها، وقد يكون النداء بعد دخول الجنة، والجملة (وهم يطمعون) حال من الضمير الواو في (يدخلوها)^(٦)،

ولخص الهمذاني توجيهات العلماء في الآية الكريمة، ومجمله^(٧):

أ- أن يعود الكلام على أصحاب الأعراف، وفيه توجيهان: الأول: أن يكون كلاماً مستأنفاً جواباً لسؤال مفترض يسأل عن حالهم، يبين تأخرهم في دخول الجنة، وسبق

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣٢/٨.

(٢) إعراب القرآن، النحاس: ٥٤/٢.

(٣) إعراب القرآن، الأصبهاني: ١٢٨.

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٠٧/٢ - ١٠٨.

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٩/٥.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٥٧١/١.

(٧) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٥٧/٣ - ٥٨.

أهل الجنة لهم، فهم يطمعون في دخولها، والثاني: أن يكون قوله: (لم يدخلوها) صفة من رجال محلها الرفع، وعلى التوجيه الأول والثاني فإن قوله: (وهم يطمعون) حال من الضمير الواو في (يدخلوها)، أو كلام مستأنف، وجوز أن يكون الكلام حالاً من (رجال) مع كونه نكرة، لأنها موصوفة، أو من الضمير المستكن في الظرف، أو من ضمير (نادوا).

ب- أن يعود الكلام على أصحاب الجنة، وفيه معنيان، الأول: أن النداء تم قبل دخولهم الجنة، فالجملتان حالان من أصحاب الجنة، أي نادوهم والحال أنهم لم يدخلوا الجنة بعد وهم طامعون، ويمكن أن تكون الجملة (وهم يطمعون) حالاً من الضمير (الواو) في (يدخلوها)، أو مستأنفة، فيكون طمعهم في دخولها مستقبلاً، والثاني: أن يكون النداء قد تم بعد دخول الجنة، والجملتان حالان من أصحاب الجنة، أي دخلوا الجنة بعد اليأس من دخولها، فلم يدخلوها وهم طامعون بل بعد يأسهم، وقد تكون جملة (وهم طامعون) حالاً من الضمير في (يدخلوها) أو مستأنفة.

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

قرئت الآية بفتح همزة (أَنَّ) وكسرها، والمشهور الفتح^(١)، وذكر السيد الطباطبائي في توجيه الآية أكثر من وجه، الأول: إنَّ جملة (أنه تعالى ...) بتأويل مصدر مجرور عطف على ضمير الجر في قوله: (فأما به) في الآية السابقة، والمعنى آمناً بربوبيته وعدم اتخاذ صاحبة وولداً، والآية إخبار عن إيمانهم بذلك^(٢)، والمسألة فيها خلاف بين النحويين في العطف على الضمير المجرور من دون إعادة الجار، فالكوفيون ويونس والأخفش يجوزون العطف خلافاً

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحزمة والكسائي بفتح الهمزة من {وإنه} و {إنّا} و {إنهم} من لدن قوله تعالى {وأنه تعالى جد ربنا} إلى قوله {وأنّا منّا المسلمون} في ابتداء كل آية والباقيون بكسرها، التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تح: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م): ٢١٥.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٤/٢٠.

لجمهور البصريين، إذ لا يجوزونه إلا بإعادة حرف الجر^(١)، فمن قال بهذا الوجه سار على مذهب الكوفيين.

أمّا التوجيه الثاني: فإنّ الجملة في محل نصب عطفاً على محل الجار والمجرور، ونسبه للفراء والزجاج والزمخشري، والمعنى آما به وصدقنا أنّه جد...^(٢)، وذكر أنّ منهم من وجه الآية على تقدير حرف جر محذوف، وهو حذف مطرد مع (أنّ، أن)، والمعنى آما به وبأنّه تعالى...، ثم أشكل على هذه التوجيهات بأنّ الآية، وما يتلوها من آيات قدرت على العطف السابق، لا يستقيم معها معنى (آما)، وإنّما يستقيم ذلك إذا قدرت بحسب معنى كل آية^(٣)، وهذا التوجيه أوسع من التوجيه الذي ذهب إليه الزجاج وإن كان قريباً منه، إذ قال: "لا يعطف على الهاء المكنية المحفوظة إلا بإظهار الخافض، ولكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى آما به، لأن معنى آما به صدقناه وعلمناه، ويكون المعنى: وصدقنا أنّه تعالى جدّ ربّنا"^(٤)، فهو يرى أنّ العطف إنّما تم على معنى (آما)، وهو (صدقنا)، فتوسع التقدير بما يلائم كل آية.

والتوجيه الثالث: عطف الآية وما بعدها من الآية التي جاءت بفتح الهمزة على قوله: (أنّه استمع)؛ فتدخل في نطاق مفعول (أوحى)، وعده من التوجيهات الفاسدة، لما فيه من زيادة مخلة بالكلام، واحتياج بعض الآيات إلى تقدير يناسب صحة الحكاية فيها^(٥)، وهذا التوجيه تعقبه ابن الحاجب في الأمالي فقال: "وأما الفتح فقد قيل: إنّّه عطف على قوله: (أنّه استمع)، فيكون داخلاً في حيز مفعول أوحى، ويشكل عليه قوله: {وأنّه تعالى جد ربنا}، {وأنا لمسنا}، {وأنا كنا}، إذ لا يحسن أن يقال: أوحى إليّ أنا كنا أو أنا لمسنا، وضمير المتكلم للجن، والمتكلم الرسول، وإنما كان يكون وأنهم لمسوا ونحوه. فلذلك فر المحققون من هذا التأويل، وجعلوه عطفاً على الضمير في قوله: {فآما به}، فيكون داخلاً في حيز الجار، ولا يرد عليه على هذا ما تقدم

(١) ينظر: الكتاب: ٣٨١/٢، معاني القرآن، الفراء: ٢٥٢/١، ٢٩٠/١، الأصول في النحو: ١١٩/٢، الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة (٦٥): ٣٧٩/٢، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٣٩٤ / ٢.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٤/٢٠.

(٣) ينظر: نفسه: ٤٤/٢٠.

(٤) معاني القرآن وإعرايه: ٢٣٤/٥.

(٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٥/٢٠.

لأن المتكلمين بقوله: فأما به، هم الجن. والله أعلم بالصواب^(١)، وقد ذكرت كتب إعراب القرآن وكتب التفسير التوجيهات السابقة على خلاف بينهم، فذكر النحاس أن الجمل عطفت على معنى (أما)^(٢)، ومذهب الأصبهاني أن من فتح الهمزة عطف على قوله: (أنه استمع)^(٣)، وذكر الهمداني التوجيهات السابقة من دون أن يرجح بينها^(٤)، وذهب الطبري إلى القول بالعطف على معنى (أما)، فيقدر فعلاً بحسب معنى الآية ك (أما، وصدقنا، وشهدنا)^(٥)، وهو ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب^(٦)، وخلاصة الآراء في توجيه الآية هي:

أ- أن تعطف الآية على قوله: (أما به)، وفيه : إما أن تكون معطوفة على الضمير الهاء على مذهب الكوفيين وهي في محل جر، والمعنى أما به وأنه تعالى...، أو تعطف على محل الجار والمجرور، وهي في محل نصب، أو تكون معطوفة على معنى (أما)، والمعنى أما به وصدقنا أنه تعالى...، أو على تقدير حرف جر، والمعنى أما به وبأنه تعالى... .

ب- أن تعطف على قوله: (أنه استمع)، والمعنى أوحى إلي أنه استمع... وأنه تعالى... .

٣- قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۖ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۖ﴾ [البلد: ١-٢]

ذكر السيد الطباطبائي أن الجملة حال وصاحب الحال هو (هذا البلد)، والحل مصدر (حل) كالحلول ، وهو بمعنى الإقامة والاستقرار، والمعنى : قسم منه تعالى بـ (مكة) في حال كون الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - حالاً فيها ومقيماً، فهو تنبيه على أن مكة قد تشرفت بحلوله ومولده ومقامه فيها^(٧) .

(١) أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م): ٢٤٥/١.

(٢) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٣٢/٥.

(٣) ينظر: إعراب القرآن، الأصبهاني: ٤٧٤.

(٤) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢٣٧/٦-٢٣٩.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣١٠/٢٣-٣١٢.

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ٧٧٥٥/١٢.

(٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٢٨/٢٠.

وذكر توجيهاً آخر مصدراً إياه بـ (قيل)، وهو أنَّ الجملة لا محل لها من الاعراب، معترضة، والحل هو المُستحل بلا حرمة ناقلاً قول الزمخشري: "واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: وأنت حل بهذا البلد يعنى: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم..."^(١)، وكأنه تعجب من حال هؤلاء الذين يحرمون الصيد في الحرم ويستحلون قتال الرسول - صلى الله عليه وآله - وإخراجه أو قتله، وذكر الزمخشري معنى آخر لهذا الوجه بناءً على أنَّ الكلام تسليية للرسول بالقسم بهذا البلد والجملة (وأنت حل) اعتراض فيه وعد للرسول بفتح مكة وإباحة التصرف فيها في المستقبل^(٢)، والحل هنا الحلال بما يقابل الحرام، قال الفراء: "هُوَ حَلال لَكَ أحله يوم فتح مَكَّة لم يحل قبله، ولن يحل بعده"^(٣). وقد ذكرت كتب إعراب القرآن الوجهين، ويفهم الوجه الأول من قول العكبري: "وقيل: لا أقسم به وأنت حل فيه، بل أقسم بك"^(٤)، ويفهم من قول العكبري أنه قسم بالرسول لا بالبلد، وذكر الهمداني أنَّ الجملة حال عند أكثرهم^(٥)، وذكر صاحب الجدول أنَّ الجملة معترضة^(٦)، فيما ذكر بهجت عبد الواحد الوجهين من دون أن يرجح بينهما^(٧)، وجاء في كتب التفسير الوجهان، فذكر الماتريدي في تفسير الآية: "يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون القسم منصرفاً إلى نفسه؛ فأقسم به؛ لما عظم من أمره وشأنه؛ كأنه قال - عَزَّ وَجَلَّ -: لا أقسم بهذا البلد وبالذي هو حل بهذا البلد، أو يكون منصرفاً إلى مكة، ويكون قوله: (وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) خرج مخرج التعريف بمكة؛ لكونه فيها، أي: البلد الذي أنت نازل به، وحال به، أو حلال فيه"^(٨)، فالآية قسم بالبلد وبمن حل فيه - وهو الرسول صلى الله عليه وآله - على الوجه الأول، أمَّا على الوجه الثاني فهو قسم بالبلد في حال حلول الرسول فيه، وذكر الماوردي فيه أربعة وجوه

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٧٥٣/٤.

(٢) ينظر: نفسه: ٧٥٣/٤-٧٥٤.

(٣) معاني القرآن: الفراء: ٢٦٣/٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن: ١٢٨٨/٢.

(٥) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣٩٩/٦.

(٦) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم: ٣٠/٣٣١.

(٧) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: ١٢/٤٣٨.

(٨) تفسير الماتريدي: ٥٣١/١٠.

فقال: "أحدها: حل لك ما صنعتَه في هذا البلد من قتال أو غيره ، قاله ابن عباس ومجاهد. الثاني: أنت مُحل في هذا البد غير مُحَرَّم في دخولك عام الفتح ، قاله الحسن وعطاء. الثالث: أن يستحل المشركون فيه حرمتك وحرمة من اتبعك توبيخاً للمشركين. ويحتمل رابعاً: وأنت حالٌ أي نازل في هذا البلد ، لأنها نزلت عليه وهو بمكة"^(١)، ويمكن إيجاز ما قيل في توجيه الآية بوجهين:

أ- أن تكون جملة (وأنت حلٌّ) في محل نصب حال من (هذا البلد)، وفيه معنيان على وفق توجيه (لا) في الآية السابقة، الأول: أن تكون (لا) زائدة أو صلة في الكلام، والآية قسمٌ منه تعالى في حال كان الرسول حالاً فيها ومقيماً، أي أقسم بالبلد حالاً فيه يا محمد - صلى الله عليه وآله- و فيه إشارة لتشريف البلد بحلوله فيه، والآخر أن تكون (لا) نافية، والآية تنفي القسم في حال حلول الرسول في هذا البلد (مكة)، والمعنى لا أقسم بهذا البلد في حال حلولك فيه يا محمد - صلى الله عليه وآله - ، وهذا الوجه على توجيه (لا) بالنفي هو الأقرب والأبلغ في رأي الباحث بدلالة السياق اللفظي، فالآية الكريمة تتحدث عن العزوف عن القسم بهذا البلد مع عظمته، لوجود من هو أكرم على الله تعالى من البلد نفسه، وهو الرسول محمد - صلى الله عليه وآله - فلا أقسم بالبلد مع حلولك به، وقد أستعمل لفظ الإشارة (هذا) للتعظيم دلالة على عظم البلد، فإن كانت هذه البلد مع عظمته وشرفه، ليس أهلاً للقسم بوجود الرسول - صلى الله عليه وآله - فما عظمة منزلة الرسول عند الله تعالى؟

وفيه إشارة إلى أن هذا البلد قد نال مزيداً من التكريم والتشريف بحلول الرسول - صلى الله عليه وآله فيه.

ب- أن تكون الجملة (وأنت حلٌّ) معترضة، وفيه معنيان: الأول تحليل المشركين لقتال الرسول وإخراجه من هذا البلد الذي يحرمون فيه الصيد، ويلمح فيه تعجب من صنيعهم هذا؛ إذ يحرمون صيد الحيوان ويحلون قتال الرسول وأتباعه، الثاني إباحة التصرف للرسول عندما يدخل مكة، فيحل له أن يقاتل فيها من يشاء، وهذا الأمر لا يحل لغيره،

(١) النكت والعيون: ٦ / ٢٧٤.

وفيه أنَّ هذا التوجيه بعيد عن منطق القرآن ورحمة الإسلام وإن لمح منه نقته تعالى
برحمة قلب الرسول - صلى الله عليه وآله.

ثانياً: الجملة الفعلية:

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ذكر السيد الطباطبائي أن قوله: (أحل الله...) جملة مستأنفة وليست حالاً، وبنى قوله
هذا على أمرين: الأول: إنَّ الجملة الفعلية إذا كانت مصدرة بفعل ماض لا تقع حالاً إلا إذا
صدرت بقد^(١)، وهذا مبني على ما ذهب إليه البصريون، والمسألة خلاف بين النحويين، فهم
وإن أجمعوا على كون الجملة الفعلية المصدرة بفعل ماض إذا سبقت بقد ، أو كانت وصفاً
لمحذوف؛ جاز أن تقع حالاً، إلا أنَّهم اختلفوا فيها إذا لم تسبق بقد ولم تقع وصفاً لمحذوف،
فذهب الكوفيون والأخفش إلى جواز ذلك، ومنعه البصريون^(٢)، الثاني: إنَّ وقوع الجملة حالاً لا
يلائم معنى الآية، لأنَّه يُنتج أنَّ تخبطهم في البيع والربا إنَّما هو ناتج عن الحكم التشريعي، فهم
يرون البيع والربا شيئاً واحداً، فلما حلل البيع وحرم الربا صاروا يتخبطون بينهما، والأمر ليس
كذلك، إذ إنَّ التخبط هذا كان قبل التشريع وبعده، وليس ناتجاً عنه، فهو يرى أنَّ الآية لم تأتِ
لإنشاء حكم، وإنَّما جاءت للإخبار عن حكم سابق فهي مبنية على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:
١٣٠]^(٣)، وهذا التوجيه ذكره محمود صافي في إعراب الآية^(٤)

(١) ينظر : الميزان في تفسير القرآن: ٤٢٠/٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٢٤/١، الأصول في النحو: ٢١٦/١، الإنصاف في مسائل الخلاف، المسألة رقم

(٣٢): ٢٠٥/١، كتاب التبيان عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، مسألة رقم (٦٣): ٣٢٦-٣٣١.

(٣) ينظر : الميزان في تفسير القرآن: ٤٢٠/٢.

(٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم: ٧١/٣.

ومن التوجيهات التي ردّها السيد الطباطبائي: إنّ قوله: (وأحلّ الله...) إنّما جاء لإبطال قولهم: (البيع مثل الربا)، والمعنى لو صح قولهم لما اختلف حكمه عند الله؛ فحلل البيع وحرم الربا، والسيد يرى أنّ المعنى وإن كان صحيحاً في نفسه، فهو لا يناسب لفظ الآية، فهو مبني على أنّ قوله: (أحلّ الله...) في محل نصب حال، وهو مردود^(١)، ويرى أنّ أضعف من هذا التوجيه قول بعضهم: "أنّ معنى قوله: وأحلّ الله (الخ) أنّ الزيادة في وجه البيع ليست نظير الزيادة في وجه الربا، لأنني احللت البيع وحرمت الربا، والأمر أمر، والخلق خلقي، أقضي فيهم بما أشاء، واستعبدتهم بما أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي، وفيه: أنّه أيضاً مبني على اخذ الجملة حالية لا مستأنفة، على أنّه مبني على إنكار ارتباط الاحكام بالمصالح والمفاسد ارتباط السببية والمسببية، وبعبارة أخرى على نفي العلية والمعلولية بين الأشياء وإسناد الجميع إلى الله سبحانه من غير واسطة، والضرورة تبطله، على أنّه خلاف ما هو دأب القرآن من تعليل أحكامه وشرائعه بمصالح خاصة أو عامة"^(٢)، وهذا التوجيه ذكره الطبري في تفسير الآية^(٣)، ويبدو أنّ العلماء - مثل ما اختلفوا في محل الجملة - اختلفوا في تبعية قولها، إذ يرى بعضهم أنّها من قول الله تعالى، ويرى بعضهم الآخر أنّها من قول آكلي الربا^(٤)، فكان اختلافهم في محل الآية نتاج اختلافهم في تبعية قول الجملة، قال السمين الحلبي: "الظاهر أنّه من كلام الله تعالى، أخبر بأنّه أحل هذا وحرم ذاك، وعلى هذا فلا محل لهذه الجملة من الإعراب. وقال بعضهم: (هذه الجملة من تنمة قول الذين يأكلون الربا، فتكون في محل نصب بالقول عطفاً على المقول) وهو بعيد جداً"^(٥)، وفي قوله توجيه آخر مبني على أنّ الجملة معطوفة على قول آكلي الربا، وخلاصة ما ذكر من توجيهات هي:

أ- أن تكون جملة (وأحلّ الله...) جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، فهي من كلام الله تعالى، وهي جملة إخبار عن حقيقة البيع وحقيقة الربا، والمعنى أنهم قالوا

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٢٠/٢.

(٢) نفسه: ٤٢٠/٢ - ٤٢١.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٣/٥.

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٧٠٨/٢.

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٦٣٣/٢.

أَنَّ البيع مثل الربا، والحقيقة غير ذلك فالله تعالى حرم الربا وأحلَّ البيع، وليس هنالك حكم تشريعيّ منه تعالى إلا لمصلحة تقتضيه.

ب- أن تكون الجملة حالاً من القول، والمعنى قالوا والحال كذا، فالكلام جاء لإبطال قولهم، والجملة من قوله تعالى، والمعنى أنهم قالوا: إِنَّ البيع مثل الربا والحال أَنَّ الله أحلَّ البيع حرمَّ الربا فهي حال وقت القول.

ت- أن تكون الجملة حال من قولهم: (إنما البيع...)، والمعنى إنما هما متساويان والحال أَنَّ الله حرم أحدهما، فقولهم بمنزلة الإنكار للتحريم، والجملة من قولهم.
ث- أن تكون معطوفة على قولهم: (البيع مثل...)، وفيه معنى الإنكار للتحريم، وهو من قولهم.

٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١] .

ذكر الطباطبائي أَنَّ جملة (عفا الله...) مستقلة أفادت تعليل نهى (لا تسألوا...) وليست وصفاً لـ (أشياء)، بل هي جملة مستقلة أفادت معنى الوصف من غير أن تكون وصفاً بحسب ترتيب الكلام، والمعنى لا تسألوا عن أشياء سكنت عنها الشريعة قد عفا الله عنها ولم يتعرض لذكرها تخفيفاً عليكم^(١)، وقد ذكرت كتب إعراب القرآن كلا التوجيهين ، جاء في التبيان: " قيل: هو مستأنف، وقيل: هو في موضع جر أيضاً، والنية به التقديم؛ أي: عن أشياء قد عفا الله لكم عنها"^(٢)، فالعكبري نقل الوجهين من دون أن يرجح وجهاً على الآخر، وهذا ما فعله صاحب الكتاب الفريد^(٣)، واختلفت كتب التفسير في ماهية هذه الأشياء التي عفا الله عنها، فقال الطبري: " وأما قوله: (عفا الله عنها) فإنه يعني به: عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتكم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كره الله لكم مسألتكم إياه عنها، أن يؤاخذكم

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٥٢/٦-١٥٣.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٤٦٤/١.

(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٥٠٥/٢.

بها، أو يعاقبكم عليها، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم"^(١)، وقال مكي: "قوله: (عَفَا اللَّهُ عَنْهَا) أي: ما لم يكن مذكوراً في حلال ولا حرام، فهو شيء عفا الله عنه، فلا تبحثوا عنه، فإنما هي أشياء حرّمها الله فلا تنتهكوها، وأشياء أحلها فلا تحرموها، وأشياء عفا عنها وسكت عنها، فلا تبحثوا عنها، فلعلها إن ظهر لكم حكمها ساءكم ذلك، وإن سألتهم عنها إذا نزل القرآن بها ظهرت لكم"^(٢)، ويرى الزمخشري أنّ الآية تنهى عن إكثار ما يسألون عنه الرسول - صلى الله عليه وآله - في أمور الشريعة، مما لو أجابهم عنه يشق عليهم الالتزام بها^(٣)، فيتمثلون بصنع اليهود في قصة ذبح البقرة.

وخلاصة ما جاء في الآية هو:

أ- أن تكون جملة (عفا الله عنها) جملة مستأنفة وقد جاءت لتعليل النهي، وهي بمعنى الصفة.

ب- أن تكون الجملة في محل جر صفة لـ (أشياء)، وكلا التوجيهين قريب.

٣- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

ذكر السيد الطباطبائي أنّ في قوله: (ترونها) أكثر من توجيه، منها: إنّ الجملة الفعلية في محل جر صفة لـ (عمد)، وقوله: (بغير عمد) متعلق بـ (رفع)، إنّها مرفوعة بغير عمد مرئية، أو محسوسة، وهذا التوجيه هو الظاهر عند السيد الطباطبائي بدلالة السياق، فالآية لا تنفي وجود العمدة وإنما تنفي رؤيته^(٤)، قال مجاهد: "أي بعمد لا ترونها"^(٥)، فالجملة تمهيد لما بعدها من الكلام، أي قوله: (ثم استوى...)، وإثبات لربوبية الخالق، وحث العقول - بما يمتلكه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٥/٩.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ٣/ ١٨٩٢.

(٣) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٦٨٣/١.

(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٩١/١١.

(٥) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تح: الدكتور محمد

عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م): ٤٠٣.

الإنسان من فطرة البحث عن الأسباب - للتفكر والتدبر في كيفية رفعها، الذي يؤدي به للإيمان بوحدة الخالق، ومعرفته، وتوحيده^(١)، أمّا التوجيه الثاني فقولهم: إنّ جملة (ترونها) مستأنفة جاءت لدفع الخل، فهي جواب عن سؤال مفترض، والسؤال هو: ما الدليل على القول: إنّ السماء بغير عمد؟ ، فالجواب : ترونها، أي أنتم ترونها، أو كذلك ترونها، فالجملة الفعلية خبر لمبتدأ محذوف، والجملة من المبتدأ والخبر مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وهو بعيد عند السيد إلا أن يقال: إنّ المراد بـ (السموات) جميع ما فيها على جهة العلو من أجرام وأفلاك وغيرها^(٢)، وبذلك لا تضم ما يرى منها بل ما لا يرى أيضاً، وهذا التوجيه يثبت أنّ السماوات إنّما رفعت بلا عمد، ودليل ذلك الرؤية المتحصلة بالبصر.

وقد ذكرت كتب التفسير وكتب إعراب القرآن كلا التوجيهين، وزادت عليهما، فقد جاء في تفسير الطبري: "واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (رفع السموات بغير عمد ترونها)، فقال بعضهم: تأويل ذلك: الله الذي رفع السموات بعمد لا ترونها...، وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد"^(٣)، وذكر الزجاج الوجه الثاني وجوز الأول^(٤)، وذكرهما الزمخشري مبتدئاً بالثاني، ومصدراً للأول بـ (قيل)^(٥)، وزاد ابن عطية وجهاً ثالثاً، وهو أنّ جملة (ترونها) حال من (السموات)^(٦)، وعلى هذا التوجيه، فالكلام فيه تقديم وتأخير، والمعنى خلق السموات والحال أنكم ترونها بلا عمد، فقوله: (بغير عمد) متعلق بـ (ترونها)، قال مقاتل: "الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها فيها تقديم"^(٧)، ونقله يحيى بن سلام عن الحسن البصري^(٨)، وجوز

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٨٨/١١ - ٢٩١.

(٢) ينظر: نفسه: ٢٩١/١١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٠٨/١٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٣٦/٢.

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥١٢/٢.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٩١/٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٦/٢.

(٨) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، النيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني

(ت: ٢٠٠ هـ)، تح: الدكتور هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م): ٦٧١ / ٢.

النحاس الوجوه الثلاث من دون أن يرجح بينها^(١)، والتوجيه الأخير لا ينفي وجود العمد ولا يثبت، إنما ينفي ثبوت رؤيته، وهنالك توجيه آخر في الآية لم يذكره العلماء وهو نقل عن الدكتور ميثاق حسن عبد الواحد مجمله أن تكون جملة (ترونها) جملة استفهامية على تقدير (أترونها؟)، وهو استفهام مجازي يفيد التقرير، وفيه إشارة إلى حث الإنسان على التفكير والتدبر في قدرة الله تعالى، وهذا أدعى لإيقاظ العقول وتحفيزها، وهو منهج جسده القرآن الكريم في كثير من الآيات الشريفة.

وخلاصة أقوال العلماء في توجيه الآية يمكن إجمالها في ما يأتي:

أ- أن تكون جملة (ترونها) في محل جر صفة لـ (عمد)، والآية لا تنفي وجود العمد بل تثبت صفته، وتوضحها، فهي عمد غير مرئية، وهذا التوجيه يناسب ما توصل إليه علم الفلك الحديث، وعلم الفيزياء، من وجود الجاذبة وما تتضمنه من تجاذب بين الأفلاك بما يخلق التوازن بينها على الصورة التي نراها، فإن صح تسمية هذه القوى الجاذبة، - ما تطلقه من موجات كهرومغناطيسية، التي تشبه الأعمدة مما لا يخفى على القارئ - بالعمد، فهذا التوجيه هو أقرب التوجيهات إلى معنى الآية.

ب- أن تكون الجملة في محل نصب حال من (السموات)، والآية فيها تقديم وتأخير، والمعنى رفع السموات والحال أنكم ترونها بلا عمد.

ت- أن تكون الجملة مستأنفة، فهي جواب لسؤال مفترض، والمعنى أن السامع يسأل بعد سماع الجزء الأول من الكلام، ما الدليل على أن السماء رفعت بلا عمد؟ فالجواب : كذلك ترونها، أو أنتم ترونها.

(١) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٢ / ٢١٨.

المبحث الثاني: مسائل متفرقة تتعلق بتعدد توجيه الجمل

١ - تعدد التوجيه في جملة (كان):

ذكر النحويون أنَّ (كان) تأتي على أكثر من نوع واحد: الأول أن تكون تامة - وهو الأصل في الأفعال - فتدل على الحدث، وهي بمعنى (وجد، أو حدث، أو وقع)، نحو: (كان الأمر)، أي حدث أو وقع...، وهي من الأفعال اللازمة، وسميت بالتامة؛ لأنها دلت على الحدث، واستغنت بفاعلها، أمَّا الثاني فهو أن تكون ناقصة - وهو الأكثر في الاستعمال - فلا تدل على الحدث تحتاج إلى منصوب؛ ولذلك سميت بالناقصة^(١)، أمَّا الثالث فهو أن تكون زائدة، وفائدتها الزمان فقط.

وقد ترد (كان) في جملة تحتل أكثر من وجه واحد، وكل وجه يحتمل معنى يختلف عن الآخر، فتتعدد المعاني لتعدد هذه الوجوه، من ذلك ما ورد في تفسير السيد الطباطبائي لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢]، فقد ذكر السيد أنه لا مانع من أن تكون (كان) في قوله: (إن) كان رجل يورث كلاله، ناقصة، فيكون (رجل) اسمها، وجملة (يورث) في محل رفع صفة لـ (رجل)، و (كلالة) خبر لـ (كان)، و المعنى: إن كان الميت الموروث كلاله، بلا والد أو ولد^(٢)، فالكلالة بهذا المعنى: أطلقت على الشخص الميت، أمَّا التوجيه الثاني الذي ذكره الطباطبائي فهو أن تكون (كان) تامة، و (رجل) فاعل لـ (كان)، و (يورث) في محل رفع صفة، و (كلالة)،

(١) ينظر: شرح المفصل: ٣٤٥/٤ - ٣٤٦.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢١٨/٤.

مصدر حال من جملة (يورث)، والمعنى وإن كان يؤول إلى أن الميت كلاله^(١)، إلا أن الكلالة ستعود على المال الموروث، لا على الوارث، أي إنَّ المعنى هو: وإن كان الميت قد ترك مالا، أو ورثاً كلاله، أي بلا وارث - ابن أو أب - وله أخ أو أخت ...، جاء في أخبار أبي القاسم الزجاجي: "وبعض العلماء جعل الكلالة في قوله: "يورث كلاله: المتوفى وبعضهم يجعله المال، وأكثرهم على ما بدأنا به"^(٢)، إذ يرى مقاتل أن الكلالة تطلق على الميت الذي لا ولد له ولا والد^(٣)، وذهب الفراء إلى القول: إنَّ الكلالة هي "ما خلا الولد والوالد"^(٤)، وذكر الطبري أن الكلالة مصدر تكلل، ومعنى الآية رجل يورث وهو متكلل النسب^(٥)، وذكر النحاس أن فيه قولين: الأول قول البصريين: إنَّ الكلالة تطلق على الميت الذي لا ولد له ولا والد، والثاني قول الكوفيين: إنَّ الكلالة تطلق على الورثة الذين لا والد فيهم ولا ولد^(٦)، وقد ذكرت كتب إعراب القرآن في توجيه إعراب الآية الوجهين المذكورين سابقاً وزادوا في التفصيل، فقال مكي بن أبي طالب: "كان بمعنى وقع ويورث نعت لرجل ورجل رفع بكان وكلالة نصب على التفسير وقيل: هو نصب على الحال على أن الكلالة هو الميت في هذين الوجهين وقيل: هو نصب على أنه نعت لمصدر محذوف تقديره يورث وراثه كلاله على أن الكلالة هو المال الذي لا يرثه ولد ولا والد وهو قول عطاء وقيل: هو خبر كان على أن الكلالة اسم للورثة وتقديره ذا كلاله"^(٧)، وذهب العكبري إلى القول: إنَّ (كان) تحتل أن تكون تامة أو ناقصة وبين وجه كل منهما^(٨)، وهو ما نجده في أكثر كتب إعراب القرآن.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢١٨/٤.

(٢) أخبار أبي القاسم الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ)، تح: د. عبد الحسين المبارك، دار الرشيد للنشر، (١٩٨٠م): ٦٧.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١ / ٣٦١.

(٤) معاني القرآن، الفراء: ١ / ٢٥٧.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦ / ٤٧٤.

(٦) ينظر: معاني القرآن، النحاس: ٢ / ٣٤-٣٥.

(٧) مشكل إعراب القرآن: ١ / ١٩٢.

(٨) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١ / ٣٣٦.

٢- تعدد التوجيه في البسمة:

تعددت آراء العلماء في توجيه البسمة في القرآن الكريم، وقد ذكر السيد الطباطبائي أنَّ البسمة إنما تتعلق بحسب غرض السورة التي تبدأ بها، فيمكن أن تتعلق بالاستعانة، أو الابتداء، وهي في سورة الفاتحة متعلقة بالابتداء بحسب غرض السورة، وأفادت تتميم إخلاص العبودية لله تعالى، وقد تتعلق بالاستعانة، ولكن الابتداء أنسب؛ لأنَّ الفاتحة تشتمل على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ١-٧]^(١)، فلفظ الابتداء أو الاستعانة محذوف يفهم من الكلام، واختلفوا في تقدير هذا المحذوف، فذهب بعض العلماء إلى تقدير فعل فتكون الجملة فعلية، قال الزجاج: "الجالب للباء معنى الابتداء، كأنك قلت: بدأت بسم الله الرحمن الرحيم، إلا أنه لم يحتج لذكر (بدأت) لأن الحال تنبئ أنك مبتدئ"^(٢)، فالزجاج يقدر فعلاً محذوفاً، وقد تعلق الجار والمجرور به، والجملة على هذا التقدير جملة فعلية، وربما قدر بعضهم الفعل (أقرأ) بدل الفعل (بدأ)^(٣)، وذهب بعضهم إلى تقدير اسم بدل الفعل، فيقدرون (ابتدائي)، أو (استعانتني)^(٤)، فيكون قوله: (بسم) متعلق بكون محذوف خبر لمبتدأ محذوف، والجملة اسمية.

فجملة البسمة على ما ذكر تحتمل الاسمية والفعلية، والجملة الاسمية تختلف في الدلالة عن الجملة الفعلية، إذ تفيد الثبوت والدوام والاستمرار، أمَّا الفعلية فتفيد الحدث والتجدد والتغير والتبدل^(٥).

٣- تعدد التوجيه في ترتيب الكلام:

قد يختلف العلماء في ترتيب الكلام بين من يقول بوجود ترتيب ما في آية ما ومن يقول بوجود ترتيب آخر غير الترتيب الأول؛ فيترتب على ذلك اختلاف في توجيه إعراب الآية الذي

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٩/١-٢٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٣٩/١.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١١٥/١.

(٤) ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١٤/١.

(٥) ينظر: الجمل المحتملة للاسمية والفعلية، د. محمد رزق شعير، مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة، (د. ت): ٢٨-٢٩.

ينتج اختلاف في تفسيرها، من ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨] ، قال السيد الطباطبائي في تفسير الآية: "أنى خبر مقدم و (ذكراهم) مبتدأ مؤخر و (إذا جاءتهم) معترضة بينهما، والمعنى فكيف يكون لهم أن يتذكروا إذا جاءتهم؟ أي كيف ينتفعون بالذكرى في يوم لا ينفع العمل الذي يعمل فيه وإنما هو يوم الجزاء"^(١)، وأنى هنا بمعنى كيف، ومذهب الفراء أن قوله: (ذكراهم) مرفوع بشبه الجملة (لهم)^(٢)، أمّا الزجاج فيرى أن (أنى)، بمعنى (من أين) خبر مقدم و (ذكراهم) مبتدأ مؤخر^(٣)، والمعنى عند الزمخشري: "إن تأتاهم الساعة فكيف لهم ذكراهم، أي تذكروهم واتعاضهم إذا جاءتهم الساعة، يعنى لا تتفعمهم الذكرى حينئذ"^(٤)، أمّا العكبري فذكر فيها وجهين: الأول أن تكون (ذكراهم) مبتدأ خبره (أنى لهم)، والشرط معترض بين الخبر والمبتدأ، والثاني صدره بـ (قيل)، وهو أن يكون قوله: (ذكراهم) فاعل للفعل (جاءتهم)، والمبتدأ محذوف، أنى لهم الخلاص^(٥)، وجاء في الكتاب الفريد: "يحتمل أوجه من الإعراب: أن يكون (ذكراهم) مبتدأ، و (أنى لهم) الخبر، و (إذا) ظرف للظرف وهو (لهم)، والمنوي في (جاءتهم) للساعة، أي: من أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟، وأن يكون (ذكراهم) أيضا مبتدأ على ما ذكر آفء، والمنوي في (جاءتهم) لها، أعني للذكرى، والمعنى من أين تتفعمهم ذكراهم إذا جاءتهم؟ أي: لا تتفعمهم، وأن يكون (ذكراهم) فاعل (جاءتهم)، ويكون المبتدأ مضمراً دل عليه (ذكراهم)، أي: أنى لهم الخلاص والنجاة إذا جاءتهم ذكراهم، فاعرفه فإنه موضع"^(٦)، فالآية تحتمل أكثر من توجيه لترتيب الكلام، وكل ترتيب يفضي إلى معنى يختلف عن المعنى الآخر.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٤٠/١٨-٢٤١.

(٢) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٦١/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١١/٥.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٢٣/٤.

(٥) التبيان في إعراب القرآن: ١١٦٢/٢.

(٦) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٦٢٩/٥.

٤ - الحذف والتقدير:

قد تتعدد توجيهات النحويين في الحذف والتقدير في جملة ما، فيرى بعضهم أنَّ المحذوف هو المسند، ويرى بعضهم الآخر أنَّ المحذوف هو المسند إليه، وقد يرى آخرون أنَّ المحذوف طرفا الإسناد (في الجملة الفعلية)؛ فيقدرون محذوفاً تبعاً للمحل الذي حدوده، فينتج عن ذلك تعدد المعنى في الجملة أو الآية التي احتوتها، من ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩]، فقد ذكر السيد الطباطبائي في توجيه إعراب (ذكرى)، أنها يمكن أن تعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، والتقدير نذكرهم ذكرى، وهذا التوجيه يعني أنَّ المحذوف طرفا الإسناد والجملة فعلية، فقدّر تبعاً لذلك فعل وفاعل، ويمكن أن تعرب (ذكرى) خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير الأمر ذكرى، فالمحذوف في هذا التوجيه هو المسند إليه والجملة اسمية، ويمكن أن تعرب (ذكرى) مبتدأ خبره محذوف على تقدير عليك ذكرى، والمحذوف في هذا التوجيه هو المسند والجملة اسمية، واختار السيد الوجه الثاني لسبقه إلى الذهن^(١)، وذكر الزجاج في تفسير الآية أنَّ " (ذكرى) يجوز أن يكون في موضع رفع ونصب، فمن نصب، فالمعنى: ولكن ذكروهم ذكرى، ومن رفع فعلى وجهين، أحدهما ولكن عليكم أن تذكروهم، كما قال: (إن عليك إلا البلاغ). وجائز أن يكون: ولكن الذين تأمرون به ذكرى"^(٢)، فقد تعدد توجيه الآية لتعدد محل المحذوف وتعدد المعنى تبعاً لذلك.

٥ - الإثبات والنفي:

تتردد بعض الجمل بين النفي والإثبات، ولكل توجيه منهما معنى يختلف عن الآخر، فينتج عنه تعدد في معنى الآيات التي تضم هذه الجمل، من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٤٦/٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢٦١/٢.

حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ^١ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾، ذكر السيد الطباطبائي اختلاف العلماء في توجيه قوله: (وما أنزل على...)، فقال: "واختلفوا في قوله: (وما أنزل على الملكين)، فقيل: ما موصولة والعطف على قوله: (ما تتلوه)، وقيل: ما موصولة والعطف على قوله: السحر، أي يعلمونهم ما أنزل على الملكين، وقيل: ما نافية والواو استئنافية أي ولم ينزل على سحر كما يدعيه اليهود"^(١)، واختار السيد التوجيه الأول، ويتضح ذلك من تفسير الآية، إذ معنى الآية عند السيد هو: إِنَّ الْيَهُودَ اتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلِكَيْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ بِالْإِلْهَامِ وَالْإِخْطَارِ، والحال أنهما لا يعلمان أحداً السحر حتى يحذراه من العمل به^(٢).

والظاهر أَنَّ الآية مثار جدل بين العلماء مفسرين ومعربين ونحويين، حتى سئل القاسم بن محمد: "يعلمان الناس ما أنزل عليهما أو يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما؟ فقال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت"^(٣)، فذهب مقاتل إلى القول: إِنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ عَلَى هَارُوتَ وَمَارُوتَ^(٤)، وهذا التفسير إِنَّمَا يصح مع كون الجملة مثبتةً بالعطف على (ما تتلوه)، وذكر الزجاج في توجيه الآية ما يفهم منه أَنَّ الجملة (أنزل) مثبتة، وهي صلة (ما)، و(ما) معطوفة على (السحر)، أو على (ما تتلوه)، وهو من قبيل عطف المفرد على المفرد، والآية تفيد إثبات تعليمهما الناس السحر ونهيهما عن العمل به، فهو من قبيل العلم بالشيء من دون العمل به، كالعلم بحرمة الزنا وشرب الخمر وطريقة فعلهما من دون العمل بهما، وربما أفادت الآية أَنَّ امتحان الإيمان والكفر إنما كان بتعلم السحر من الملكين في ذلك الوقت؛ لشهرته بينهم، فمن تعلمه كان كافراً،

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٣٠/١.

(٢) ينظر: نفسه: ٢٣٣/١.

(٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت: ١٩٧هـ)، تح:

ميكوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط ١، (٢٠٠٣م): ١٣٦/٣.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٢٧/١.

ومن ترك تعلمه كان مؤمناً^(١)، ورجح ابن هشام العطف على السحر^(٢)، وأضاف الطبري إلى الوجهين السابقين وجهاً ثالثاً وهو أن تكون الجملة (أنزل) منفية بـ (ما) و(الواو)، حرف استئناف والجملة مستأنفة، والمعنى لم ينزل عليهما السحر^(٣)، ومثله مكي بن أبي طالب^(٤)، وبعض معربي آيات القرآن.

٦- تردد الجملة بين الخبر والإنشاء:

يرى بعض العلماء في جملة ما أنها خبرية، ويرى بعضهم الآخر أنها إنشائية؛ فينتج عنه تعدد في التوجيه النحوي، وتعدد في المعنى، من ذلك ما نجده في توجيه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]، فقد ذكر السيد في توجيه الآية أن (ما) تحتل أن تكون استفهامية، والمعنى أي شيء يغني عنه ماله، والجملة إنشائية، ويحتل أن تكون نافية، والمعنى لا يغني عنه ماله^(٥)، جاء في تفسير الطبري: "يعني جلّ ثناؤه بقوله: (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ) : أي شيء يدفع عن هذا الذي بخل بماله، واستغنى عن ربه، ماله يوم القيامة (إذا) هو (تَرَدَّى)"^(٦)، وقال النحاس: "ما في موضع نصب بـ(يغني)، أي وأي شيء يدفع عنه ماله إذا سقط في النار"^(٧)، وذكر مكي التوجيهين فقال: "قوله: (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ) ما في موضع نصب بيغني وهي استفهام عمل فيه ما بعده ويجوز أن تكون ما نافية حرفاً ويحذف مفعول يُغني أي وليس يُغني عنه ماله شيئاً إذا هلك"^(٨)، وذهب ابن هشام إلى القول: إنها تحتل أن تكون نافية أي لم يغن أو استفهامية^(٩)، والتقدير أي إغناء أغنى عنه ماله إذا مات أو إذا وقع في جهنم، فالجملة تحتل الخبر والإنشاء ولكل واحد منهما معنى يختلف عن الآخر.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٨٤/١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١١٧/٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٣٠-٣٣١/٢.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١٠٦/١.

(٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٤٥/٢٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٧٦/٢٤.

(٧) إعراب القرآن، النحاس: ١٥٠/٥.

(٨) مشكل إعراب القرآن: ٨٢٢/٢.

(٩) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١١٦-١١٧/٤.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله حمداً دائماً متصلاً لا انقطاع له، ونشكره على جميل إحسانه وكثير نعمائه،
وتمام آلائه .

أمّا بعد:

فإنّ القواعد النحوية واللغوية التي وضعها علماء النحو واللغة؛ لغرض الكشف عن
المعنى وتثبيته، قد تصبح في بعض الأحيان أداة لتعدد المعنى وتشتته، ولا سيما تلك التي
تفردت بها بعض المدارس النحوية أو الشخصيات التابعة لها، حتى صارت باباً من أبواب
القراءات التفسيرية والمعنوية المتعددة؛ ذلك لانتقالها من الدرس النحوي واللغوي، إلى الجانب
التفسيري للقرآن الكريم - وهو ما وقفت عليه الدراسة في فصولها الأربعة - والذي أنتج كماً
كبيراً من القراءات التفسيرية لكتاب الله العزيز، وهي مقاربات لسانية بحثة قد يكون أغلبها
مقبولاً، في إطار المفهوم العام للقرآن الكريم، إلّا ما ندر، إذ إنّ أغلبها يندرج تحت المصاديق
المحتملة للآيات القرآنية.

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج منها:

١- تعدد المعنى في الآيات التي يتعدد فيها توجيه مرجع الضمير، فالمعنى يتعدد نتيجة
تعدد توجيه المرجع.

٢- عناية السيد الطباطبائي في بيان تعدد التوجيه في مرجع الضمير في كثير من الآيات
التي تحتوي هذا التعدد، وبيان ما ينتج عنه من تعدد للمعنى.

٣- تعدد المعنى في الآيات التي يتعدد فيها توجيه إعراب الأسماء، فالمعنى يتعدد نتيجة
تعدد توجيه إعراب الاسم في الآية نفسها.

٤- يعود تعدد توجيه إعراب الاسم إلى مجموعة أسباب منها:

أ- اتفاق بعض الوظائف النحوية في العلامة الإعرابية.

ب- غياب العلامة الإعرابية في بعض الأسماء.

ت- اتفاق الصيغة الصرفية مع اختلاف معنى الاسم أو وظيفته.

- ٥- عناية السيد الطباطبائي ببيان وجوه تعدد إعراب الاسم في الكثير من الآيات التي تتضمن هذا التعدد، وبيان ما ينتج عنه من تعدد في المعنى.
- ٦- تعدد المعنى في الآيات التي يتعدد فيها توجيه تعلق شبه الجملة، فالمعنى يتعدد نتيجة تعدد توجيه تعلق شبه الجملة في الآية نفسها.
- ٧- عناية السيد الطباطبائي ببيان تعدد توجيه تعلق شبه الجملة في الكثير من الآيات التي تتضمن هذا التعدد، وبيان ما ينتج عنه من تعدد في المعنى.
- ٨- تعدد المعنى في الآيات التي يتعدد فيها توجيه الجملة، فالمعنى يتعدد نتيجة تعدد توجيه الجملة في الآية نفسها.
- ٩- عناية السيد الطباطبائي ببيان تعدد توجيه الجملة في الكثير من الآيات التي تتضمن هذا التعدد، وبيان ما ينتج عنه من تعدد في المعنى.
- ١٠- تأثر التفسير القرآني بالخلافات النحوية تأثراً كبيراً، كان من نتاجه تعدد المعاني في بعض الآيات القرآنية التي ذكرها السيد الطباطبائي وغيره من المفسرين.
- ١١- اعتماد السيد الطباطبائي في أكثر توجيهاته على آراء من سبقه من العلماء والمفسرين، وهو بذلك لم يكن مجرد ناقل، بل مختاراً ومناقشاً ومحاوراً ذكياً.
- ١٢- اختيارات السيد الطباطبائي لم تكن على منهج واحد، فهو ينقل آراء العلماء ويرجح بعضها معتمداً على المعنى والسياق، وقد يذكر أحياناً الرأي الذي يختاره من دون ذكر الآراء الأخرى، محيلاً القارئ إلى الرجوع إلى باقي الآراء في مصادرها من دون أن يذكرها.

قائمة المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم
- ❖ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- ❖ أخبار أبي القاسم الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ)، تح: د. عبد الحسين المبارك، دار الرشيد للنشر، (١٩٨٠م).
- ❖ اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، أ. د. سعود بن عبدالله الفنيسان، دار أشبيليا، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ❖ ارتشاف الضرب من لسان العرب، ابو حيّان الاندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: د. رجب عثمان، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- ❖ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت).
- ❖ الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو-فقه اللغة- البلاغة، تمام حسان عالم الكتب، القاهرة، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ❖ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، (د. ت).
- ❖ إعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي بحلب، ط٥ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- ❖ إعراب القرآن، ابو جعفر النحاس أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، (١٤٢١هـ).

- ❖ إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي - دمشق، ط ١، (١٤٢٥ هـ).
- ❖ إعراب القرآن المنسوب للزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت: ٥٤٣ هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة / بيروت، ط ٤، (١٤٢٠ هـ).
- ❖ إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي النيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥ هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، من دون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- ❖ إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣ هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط ٤ (١٤١٥ هـ).
- ❖ الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط ٢، (١٤١٨ هـ).
- ❖ الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، - أيار / مايو (٢٠٠٢ م).
- ❖ أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦ هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).
- ❖ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ)، المكتبة العصرية، ط ١، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

- ❖ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، (١٤١٨ هـ).
- ❖ اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتطبيق، د. ميشال عازار مخايل، المؤسسة الحديثة للكتاب لبنان، ط١، (٢٠١٢م).
- ❖ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام الانصاري، (ت: ٧٦١هـ)، تح: د. محمد عز الدين السعيد، دار إحياء العلوم بيروت، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- ❖ الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، تح: د. حسن شاذلي فرهود (كلية الآداب - جامعة الرياض)، ط١، (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).
- ❖ الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تح: الدكتور مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط٥، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ❖ بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، (د. م)، (د. ت).
- ❖ البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان أنير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت (١٤٢٠هـ).
- ❖ البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).
- ❖ التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د. ت).
- ❖ تفسير التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس (١٩٨٤هـ).

❖ تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

❖ تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

❖ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م).

❖ تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م).

❖ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط١، (١٤١٩هـ).

❖ تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت: ١٩٧هـ)، تح: ميكوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط١، (٢٠٠٣م).

❖ تفسير الكَرْمَانِي المسمى (غَرَائِبُ التَّفْسِيرِ وَعَجَائِبُ التَّأْوِيلِ)، تاج القراء / محمود بن حمزة الكَرْمَانِي، دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، (د.ت).

❖ تفسير الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

- ❖ تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تح: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).
- ❖ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).
- ❖ تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١، (١٤٢٣هـ).
- ❖ التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، (د. م)، (د. ت).
- ❖ تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، تح: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- ❖ تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزي (ت: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، (من ١٩٧٩م - إلى ٢٠٠٠م).
- ❖ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت: ٧٧٨هـ)، تح: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط١، (١٤٢٨هـ).
- ❖ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، (٢٠٠١م).
- ❖ التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تح: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

- ❖ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ)، تح : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ❖ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
- ❖ الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، (١٤١٨هـ).
- ❖ الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط٣ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ❖ الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر المملكة الأردنية الهاشمية - عمان، ط٢، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ❖ الجمل في النحو، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، ط٥، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- ❖ الجمل المحتملة للاسمية والفعلية، د. محمد رزق شعير، مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة، (د. ت).
- ❖ حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت : ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ❖ الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (ت : ٣٧٧هـ)، تح: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

❖ حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ)، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، (١٩٨٤م).

❖ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د. ت).

❖ دراسات نقدية في النحو العربي، د. عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصباح، (د. ت).

❖ دراسات نقدية وبلاغية جدل التراث والمعاصرة للدكتور ناصر حلاوي، جمع ودراسة أ. م. د. حامد ناصر الظالم، دار ومكتبة البصائر بيروت - لبنان، ط١، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

❖ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (د. ت).

❖ ديوان زهير بن أبي سلمى، علي حسن فاعور، الر الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، (١٩٨٨م).

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).

❖ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

❖ شرح ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، المصري، الهمداني (ت: ٧٦٩هـ)، دار مصر للطباعة، ط٢٠، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

❖ شرح أبيات سيوييه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي (ت: ٣٨٥هـ)، تح: الدكتور محمد علي الريح هاشم، طه عبد الرؤوف سعد،

مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر،
(١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

❖ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين
الأشموني الشافعي (ت: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط ١، (١٤١٩هـ -
١٩٩٨م).

❖ شرح تسهيل الفوائد محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال
الدين، (ت: ٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. مجمد بدوي المختون، هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

❖ شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي
الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية -
بيروت-لبنان، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

❖ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، الإمام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن
يوسف المعروف بابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان،
ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

❖ شرح شواهد المغني، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)،
وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيّل وتعليقات: الشيخ محمد
محمود ابن التلاميذ التركي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

❖ شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو
محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،
القاهرة، ط ١١، (١٣٨٣م).

❖ شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال
الدين (ت: ٦٧٢هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث

العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط١ (ب.ت).

❖ شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: ٣٦٨هـ)،
تح: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١،
(٢٠٠٨م).

❖ شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء،
موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم
له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٢هـ -
٢٠٠١م).

❖ الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، دار
الحديث، القاهرة، (١٤٢٣هـ).

❖ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي
(ت: ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤،
(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

❖ العباب الزاخر واللباب الفاخر، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر
العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (ت: ٦٥٠هـ).

❖ علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (ت: ٣٨١هـ)، تح
: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض/السعودية، ط١، (١٤٢٠هـ -
١٩٩٩م).

❖ علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٠٢هـ -
١٩٨٢م).

❖ فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية (نظم الأجرومية لمحمد بن أب القلاوي
الشنقيطي)، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١،
(١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

- ❖ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ❖ فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، تقديم د. محمد بن صالح الفوزان، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع الرياض، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- ❖ الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت: ٤٣٨هـ)، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط٢، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ❖ في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ❖ الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط٣، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ❖ الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ❖ كتاب التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبي البقاء العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تح: عبد الرحمن السليمان العثيمين، جامعة الملك عبد العزيز، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).
- ❖ كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).
- ❖ كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، تح: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط٢، (١٤٠٠هـ).

- ❖ كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- ❖ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني (ت: ٦٤٣هـ)، تح: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).
- ❖ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، (١٤٠٧هـ).
- ❖ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م).
- ❖ اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
- ❖ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، (١٤١٤هـ).
- ❖ اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، ١٩٩٤ م.
- ❖ اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت، (د.ت).
- ❖ ليس في كلام العرب، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط٢، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
- ❖ المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (ت: ٣٨١هـ)، تح: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية - دمشق (١٩٨١ م).

- ❖ مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تح: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، (١٣٨١هـ).
- ❖ المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، (١٤٢٦هـ).
- ❖ مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، (د. ت).
- ❖ محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (١٤١٨هـ).
- ❖ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ).
- ❖ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- ❖ مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ❖ مدارك التنزيل، وحقائق التأويل، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

❖ مدخل إلى دراسة الجملة العربية، أ. د. محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب - القاهرة، ط ١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م).

❖ مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، (١٤٠٥هـ).

❖ معالم التنزيل في تفسير القرآن، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، (١٤٢٠هـ).

❖ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط ١، (د. ت).

❖ معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ) تح: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

❖ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

❖ معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

❖ المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، د. علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، دار الأمل، ط ٢، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

❖ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

- ❖ مفاتيح الغيب المسمى بـ (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ).
- ❖ المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تح: د. علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، ط١، (١٩٩٣م).
- ❖ مفهوم الجملة عند سيبويه، د. حسن عبد الغني جواد الأسدي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- ❖ المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب - بيروت، (د. ت).
- ❖ من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط٣، (١٩٦٦هـ).
- ❖ الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ❖ النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، د. صلاح رؤاي، دار الغريب - القاهرة، (د. ت).
- ❖ النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط١٥، (د. ت).
- ❖ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف - القاهرة، ط٢، (د. ت).
- ❖ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت).
- ❖ النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، (د. ت).
- ❖ نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، (١٤٢٣هـ).

❖ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، عبد الحميد هنداوي، (د. م)، (د. ت).

❖ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

الرسائل والأطاريح والبحوث:

❖ أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، (أطروحة دكتوراه)، عبد الإله حوري الحوري، جامعة القاهرة كلية العلوم قسم الشريعة الإسلامية، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

❖ أقسام الجملة في اللغة العربية - دراسة البنية والدلالة في سورة محمد -، (رسالة ماجستير)، ردوزي فاطمة الزهراء، جامعة محمد بوضياف - المسيلة - الجزائر (٢٠١٦م - ٢٠١٧م).

❖ تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة، (أطروحة دكتوراه)، محمود عبد حمد اللّامي، جامعة بابل كلية التربية، إعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

❖ التوجيه النحوي لتداخل التوابع في القرآن الكريم، (أطروحة دكتوراه)، موسى سالم إبراهيم أبو جليدان، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، (ب. ط)، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م).

- ❖ شبه الجملة - دراسة تركيبية تحليلية- مع أمثلة نموذجية من القرآن الكريم،(رسالة ماجستير)، أبو طالب الطيب، جامعة الجزائر كلية العلوم الإسلامية، (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م).
- ❖ شبه الجملة في النحو العربي، (رسالة ماجستير)، عبد الإله إبراهيم عبدالله، جامعة بغداد، كلية الآداب، (١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م).
- ❖ شبه الجملة في النحو العربي عند القدماء والمحدثين، (بحث)، أ. م. د عقيل رحيم علي، مجلة التراث العلمي العربي، العدد (٤٢)، (٢٠١٩ م).
- ❖ شبه الجملة في النحو العربي مفهوما وأهميتها في السياق، (بحث)، د. سعد محمد الكردي، مجلة التراث العربي، العدد ١٢٨، (٢٠١٢ م).
- ❖ قواعد التوجيه عند ابن الأنباري، (رسالة ماجستير)، أحمد نزال غازي الشمري، جامعة القاهرة كلية دار العلوم قسم النحو والصرف والعروض، (١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م).
- ❖ قواعد التوجيه في النحو العربي، (إطروحة دكتوراه)، عبد الله الخولي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، (١٩٩٧ م).

Abstract:

The overall meaning of a speech or sentence is greatly affected by the grammatical meaning, as the relationship between them is an influenced relationship, so the meanings change according to the change in the grammatical direction of the word in the sentence or sentence in speech, as one or more meaning is produced for each one grammatical direction, so the meaning is multiplied according to the multiplicity of grammatical directions.

This paper entitled (The Meaning and Multiple Grammatical Instructions in Tafsir al-Mizan lilsayd. Muhammad Husayn al-Tabataba'i) came to stand on the relationship between the multiplicity of meaning and the multiplicity of grammatical directions in the interpretation of the Holy Qur'an.

The research has found that the grammatical rules set by the grammarians in order to establish, uncover, and maintain the meaning may turn into a basic cause of the multiplicity and dispersion of meaning, as many of the different opinions of the interpreters may be due to the difference of grammarians, as the grammatical differences among the grammarians have cast their delusion on the commentators, Especially since many of them were grammatical and interpreted at the same time, such as Abu Hayyan, Al-Zamakhshari and many others, so these grammarians and commentators transferred the disagreement from the grammatical lesson to the expository lesson. This is because tafsir represents the broad applied field of grammatical opinions.

The first chapter of the study focused on the multiplicity of the meaning as a result of the multiplicity of directing the reference of the pronoun in the interpretation of the Noble Qur'an, and found that the meaning is multiplied as a result of the multiple direction of the reference of the pronoun, while the second chapter stood on the multiplicity of the meaning as a result of the

multiplication of the expression of the pronoun name, and found that the meaning is multiplied as a result of multiple directions. The parsing of the name, and the third chapter focused on the multiplicity of the meaning as a result of the multiplicity of the directive attached to the semi-sentence, the meaning is multiplied due to the multiplicity of the attachment of the semi-sentence, while the fourth chapter stood on the multiplicity of meaning as a result of the multiple direction of the sentence, and it was found that the meaning is multiplied as a result of the multiple direction of the sentence in speech and then concluded the search with a group. From his findings.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
College of Education of Arabic



**The Meaning and multiplicity of grammatical guidance in
Tafsir Al-mizan Ilsayd Muhamad Hussein Al-Tabatabai**

A Thesis

**Submitted to the Council of the College of Education for Humanities,
University of Al-Muthanna in Partial Fulfillment for Requirements of the
Degree of Master in Arabic Language and its Literature/ Linguistic**

By

Hazem Mohan Mazhar Al-Jayashi

Supervisor

Prof. Ahmed Hussein Abdul Sada

2021 A.D.

1443A.D.